
الرسالة

Mercredi, 15-11-1933

1re. Année, No. 21



الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد
....
تصدر مؤقتاً
فى أول كل شهر ونصفه

العدد الحادى والعشرون «القاهرة فى يوم الأربعاء ٢٦ رجب سنة ١٣٥٢ — ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٣» السنة الأولى

فهرس العدد

صفحة

٢ نهضة الشباب : أحمد حسن الزيات
٥ بقية من لغو الصيف : الدكتور طه حسين
٧ شاعر : الاستاذ احمد أمين
١٠ رأى ونصيحة : الدكتور منصور فهمى
١٠ بطالة المتعلمين : الدكتور محمد حسين هيكل بك
١١ بل مصرمصرية : الآنسة مى
١٢ كيف نحافظ على وجودنا الاقتصادى : الاستاذ فريد وجدى
١٣ الصناعة عنوان الحضارة : الدكتور عبد الرحمن شهبندر
١٤ البعث : الاستاذ توفيق الحكيم
١٥ حركات الشباب : الاستاذ سلامه موسى
١٦ بين الشرق والغرب : ت . الطويل
١٧ نداء اللجنة التنفيذية : الاستاذ عبد الله فكرى أباظه
١٧ رسالة المشروع : على عبد العظيم
١٨ الدعوة الى الصناعة المصرية : الاستاذ جلال حسين
١٩ مطالعات فى التصوف : محمد مصطفى حلمى
٢١ فلسفة ليبنتز : الاستاذ زكى نجيب محمود
٢٣ درس الجيولوجيا : حسين شوقى
٢٤ طاقة الزهر : الاستاذ أحمد الزين
٢٥ ذكرى العام : فخرى أبو السعود
٢٥ جاردن سيتى بالريف : على شرف الدين
٢٦ الصدى الساحر : الاستاذ محمود الخفيف
٢٦ وخز الضمير : محمد برهام
٢٧ تطور العقل : للسر أرثر طمسن . ترجمة بشير اللوس
٢٨ الزمن : عبد الغنى على حسين
٣٠ آلة الزمان : الاستاذ محمد فريد أبو حديد
٣٥ ها كم قبعة أخرى : تأليف لويجى برندللوا . ترجمة الدكتور محمد عوض محمد
٤١ جاندارك (كتاب) : ز . نجيب محمود

نهضة الشباب . . .

نهضة الشباب اليوم احدى الظواهر المميزة لهذا الجيل. وهى أجلى ما تكون فى الأمم المظلومة أو المهدَّدة بالظلم. كأنما أخفق فى سياستها (رأى) الشيوخ، فصمد الى قيادتها (عزم) الشباب! والواقع أن هذه النخوة القدسية التى تعصف برءوس الفتيان فى ايطاليا والمانيا وسورية ومصر، انما هى القارعة التى تُصِمّ والظاهرة التى تخيف، لأن الشباب اذا كان لهم الصف الأول فى الحرب، فان لهم الصف الأخير فى السلم، فاذا ألجأهم تقلب الصروف الى تقدم الصفوف، دل ذلك على سياسة عاجزة، أو سِلْمٍ مريبة، أو خطر محدق. وعجز السياسة اتهام لحنكة السن، ورياء السلم ايذان بصراحة الحرب، وتفارُس الاهواء إعلان بنزول الغاشية.

فا (لفاشيَّة) و (النازية) و (عصبة العمل القومى) و (عيد الوطن الاقتصادى) وغيرها من حركات الشباب وثباتٌ دفاعية بعثتها الانسانيةِ المهددة بالتفكك والفوضى والهوان والاستعباد والجشع. ولئن كان لكل دولة من هذه الدول، علة أو أكثر من هذه العلل، فان مصر البائسة تكابد هذه النكبات جميعا! فأخلاقها تفككها الحزبية الأثِرَة، وآراؤها تشتتها المطامع الخسيسة، وكرامتها تهينها الامتيازات الباغية،

وقوميتها توهنها الأجنبية الموغلة ، وحريتها تقيـدها القوة المحتلة ، وارزاقها تسلبها (الضيافة) الثقيلة ، و أبناؤها (الكرماء) القانعون الخانعون قد ألفوا مضاجع الهوُن فلا تؤذيهم الغضاضة ، ولا تؤلمهم الخصاصة ، ولا يبغون حوَلا عن هذه الحال !

ولكن الشباب - وان أعدّهم هذا الحاضر الذليل - قد أعانتهم خصائص الفتوة ، وغرائز الفطرة ، على أن يدركوا مانحن فيه من ضراعة الجانب ، ووضاعة الشأن ، وضيق المضطرَب ، فهبوا يُعِزُّون النفوس الذليلة ، ويمنعون الحوزة المباحة ، ويستردون الثروة المضاعة ، ويمهدون لهذا البلد العانى طريق الاستقلال الخالص السعيد !

ومَن أحقُ بحماية الوطن واعزازه من الشباب ؟ !

إنهم يعيشون للغد وآباؤهم يعيشون لليوم . فهم يحرصون على المستقبل ويجعلون الحاضر رأس مال ، وأولئك يحرصون على الحاضر ويعدون المستقبل تركة ! وشتان بين من يعمل لنفسه عن حاجة ، وبين من يعمل لغيره عن عاطفة .

....

لقد كان شبابنا وما زالوا أغرودة الأمل الباسم فى فم وادينا الجميل ، وسرَّ النشاط الدافق فى روح نهضتنا المرجوَّة ، حملوا وما زالوا يحملون لواء الغضبة المقدسة فى وجه الدخيل العادى ، وغسلوا وما زالوا يغسلون أدران الماضى بالعرق الطهور والدم الغالى ؛ ثم رأوا ان مصر المنكودة إنما يقف فى طريق حياتها الطبيعية إحتلالان لااحتلال واحد : احتلال سياسى يحتل الثكنات ، ويخادع الحكومة ، ويغل الحرية ، ويهين الحق ، ويؤذى الكرامة ؛ واحتلال اقتصادى يحتل المدائن ، ويغزو القرى ، ويأكل الأرض ، ويشرب النيل ، ويحتكر التجارة ، ويجلب الخمور ، ويهرّب المخدرات ، ويتكسب بالمنكرات ، ويفتك بالجيوب ، ويلغ فى الاعراض ، ويعبث بالمدين ، ويحل على الجملة فى سبيل المغنم ما حرمته الشرائع والضمائر والعُرف ، ثم يتبجح بعد ذلك كله بأنه القيم على المدنية والحرية والعدالة ، يبذرها فى طريقه ، وينشرها فى مجلسه ، ويمثلها فى نفسه ! فاذا قلت فى رقة المغازل لهذا الضيف المدلّل ان ما تعمله يناقض ما تقوله ، تجهمت (امتيازات) الدول ، وتَرَغَّمت (تحفظات) الانجليز !!

رأى شبابنا أن جهاد هذين الاحتلالين أمر لا يتحقق خلاصنا بدونه ، وأن قصر الجهود على احد الميدانين يمكّن الحليفين من حشد كل القوى فى ذلك الميدان ، فارهفوا النشاط ، وأرصدوا الأُهبَة ، ولا فوا الواغل فى كل طريق !

ليس بسبيلنا اليوم أن نعرض فيالق الشباب فى مختلف الميادين ، فقد اشرنا الى ذلك فى كلمة سابقة ، انما نريد أن نسجل فى ثَبَت المجاهدين فيلقا جديدا جاء يؤكد مرة أخرى ان هذه الأمة الكريمة قد قطعت عزمها على أن تعيش فى أرضها حرة وفى ملكها سيدة . ذلك الفيلق هو جماعة عيد الوطن الاقتصادى ، وهم فريق من الطلاب العاملين المخلصين البررة ، حمّلوا نفوسهم الرقيقة فوق تكاليف الدرس أعباء الدعاية للتجارة المصرية والمنتجات الوطنية ، فهم يُعرضون عن مطالب الصِّبَى ، ويَصدفون عن مباهج العيش ، ويعقلون جهودهم وميولهم فى مكاتب العمل من نادى اتحاد الجامعة : يعلنون بالوسائل المختلفة عن المشروع الذى يُعدونه ، ويدعون اخوانهم الى التطوع فى الجيش الذى يحشدونه ، ويتصلون بالتجار ليقنعوهم بالاشتراك فى الدليل الذى يصدرونه ، ويجمعون الأُهَبَ للمهرجان الفخم الذى يهيئونه ، ويزورون المصانع والمتاجر ليحققوا الوجه الذى يقصدونه ، ويعانون فى سبيل ذلك رهقاً شديدا فى النفس والمال والكرامة ، أجل ، أقول والكرامة ! لأن كثيراً من تجارنا لا يزالون يتعاطون التجارة على منهج دارس ، وطبع ألِفَ ، فهم يتهمون الناصح ، ويستغشون المشير ، وينكرون التطور ، ويجهلون الأعلان ، ويعتمدون فى جلب الحرفاء ورواج السلع على التمائم والأدعية !!

....

سيكون عيد الوطن الاقتصادى يوم دعاية وإعلان وعرض ، وسيقدم للممارين الأدلة التى تصك الاسماع وتطرف العيون على أن مصر الناهضة تسير فى طريق مأمونة الى غاية مضمونة !

فمساهمة الشباب فيه بالتطوع ، وانضواء التجار اليه بالاشتراك ، وعطف الجمهور عليه بالتأييد ، ضمان للنصر المبين فى إحدى المعارك الفاصلة ،

إن القبعات فى الطرقات ، اكثر وأخطر منها فى الثكنات ، واليوم الذى لاترى فيه على الرؤوس غير الطربوش ، ولا تقرأ على جباه الحوانيت إلا العربية ، ولا تسمع فى مختلف المعامل غير اللهجة المصرية ، هو اليوم الذى تقول فيه وأنت صادق : لقد صفا النيل ، وملك الأصيل ، واستقلت مصر !!

احمد حسن الزيات

بقيـــة من لغو الصيف

للدكتور طه حسين

ليتك لم تأمري وليتني لم أطع . فمن صواب الناس ما يكون خطأ ، ومن خطأ الناس ما يكون صوابا . والمرء بخير ما عرف لنفسه قدرها ولم يعد بها حقها ، ولم يكلفها الحياة في النجوم ، وقد خلقت لتحيا في الارض .

ولقد حاولت في غير طائل أن أعرف ما ذا كنت تنكرين من صحبتنا في بلاد الغربة . فقد كنا نلتقي ونفترق لا يكون بيننا الا حديث نقي بريء فيه ذكر للأدب والأدباء ، وعبث بالانشاء والمنشئين . فمازلت تحبين ذلك وتظهرين كرهه ، ومازلت تسرين الرغبة فيه ؛ وتعلنين الضيق به حتى ملأت صـدري ضيقا بنفسي ، وحرجا بمكاني منـك ، وخيلت الى أني أثقل عليك ، وأكلفك من صحبتي ما لا تطيقين ؛ حتى اذا كان ذلك اليوم وليته لم يكن تقدمت الى في الرحيل فامتنعت عليك وأسرفت في الامتناع ، وألححت أنت وأغرقت في الالحاح ، ولم أجد بدا من الطاعة وان كنت لها لكارها ، ولم تجدي بدا من المضي في الأمر ، وان كانت نفسك لتحدثك في العدول عنه .

ولم أكد استقر في باريس ، ولم تكادي تستقرين في مدينتك الجامعية الصغيرة حتى اتصلت بينك وبين هذه الكتب والرسائل التي لا أستطيع ان أصفها بأقل من انها برهان قوي ساطع . على اننا نخدع انفسنا عن انفسنا . ونتكلف في ارضاء الناس واوضاعهم مالا يحفل به الناس ، ولا يلتفتون اليه ، وما لا نحتمله نحن الا في جهد جاهد ، وعسر لا حد له

والآن وقد أضعنا من حياتنا اياما طوالا كنت تترددين فيها على حجرات الدرس في الجامعة ، وكنت اتردد فيها على الأندية وملاعب التمثيل ، أكتب اليك وقد آن لي أن أعود الى القاهرة . لعلك تأذنين في أن نلتقي مرة قبل أن أعبر البحر .

ولست أدري أيقع هذا الكتاب منك موقع الرضى أو موقع السخط ؟ ولكني أعلم أن الايام معدودة علينا في هذه الحياة وان من الحمق أن يستطيع الأصدقاء التلاقي ثم لا يلتقون ، ينتظرون أن يتاح لهم ذلك في يوم آخر قريب أو بعيد . فمن يدري لعل هذا اليوم لا يجيء .



ولعل الاحداث والخطوب أن تحول بين الأصدقاء وبين ما كانوا يقدرون من اللقاء فيه . ولو عقل الناس لما تفرقوا الا حين لا يكون من الفراق بد ، ولكن الغرور يغرهم بأنفسهم ويطمعهم في الأيام ، فيخيل اليهم أنهم مخلدون وأنهم ليمرون بالحياة كما يمر الطيف بالنائم المغرق في النوم وقد تعجبين حين تعلمين أني لا أكتب اليك من باريس ، وانما أكتب اليك وقد دنوت منك حتى لم يبق بينك وبيني الا مسير دقائق على الأقدام . فقد وصلت الى مدينتك الجامعية مع المساء وأنا أكتب اليك وستقرئين كتابي مع الصباح فان أردت لقائي فهذا رقم التليفون ، وإن أبيت فان القطار يبرح مدينتك الى مرسيليا مع الظهر ، ولن اراك حتى اعلم بأن رؤيتي لا تؤذيك ولا تثقل عليك ، ولا تخيل اليك أنك تخرجين على ما ألف الناس من أوضاع واطوار .

عجبت للاذكياء وكبار العقول انهم ليأخذون انفسهم احيانا بما لا يلائم الذكاء ولا تسيغه العقول .

وكانت تختلف على وجهها التاصع وهي تقرأ هذا الكتاب مظاهر الوفاق والخلاف وآيات الرضى والسخط . فكان وجهها

يشرق حينا ، وتغشيه ظلمة رقيقة حينا آخر . حتى اذا فرغت من قراءة الكتاب وضعته فى رفق أمامها على المائدة ومدت بصرها كأنما تريد أن تبلغ به أقصى الآفاق ، لولا هذه الجدران التى تقوم غير بعيد وتقف عينها عند حد محدود . وأرسلت نفسها الحرة الى أبعد مما استطاعت أن ترسل اليه بصرها السجين ، وظلت على هذه الحال وقتا لم تعرف اطال أم قصر ، ثم عادت الى نفسها وثابت إلى غرفتها من الفندق ، وأخذت كتابها برفق ، وأعادت النظر فيه . وظلت كذلك تنظر فى الكتاب ثم تدعه ، ثم تعود اليه ، حتى أدارت رأسها عن غير عمد فرأت التليفون ، فقامت عن غير عمد . وسعت إلى التليفون ، ثم تحدثت فيه عن غير عمد ، وعادت الى مكانها ، فأخذت الكتاب ونظرت فيه ، ثم نظرت فيه . ثم طوته ثم أخفته ، ثم ظهر عليها تردد شديد . كأنها تنبهت لانها أتت امرا عظيما وكأنها تراجع نفسها فى استدراك ما فات . والغاء ما قدمت من الامر ، وكأنها تفكر فى أن تتحدث الى التليفون بغير ماتحدثت به اليه منذ حين

ولكنها لم تبلغ من ذلك ما تريد لأن طرقا خفيفاً على الباب قد ردها عنه ، واضطرها إلى أن تصلح من شأنها على عجل ، وترفع صوتها آذنة بالدخول . ولم يكد ينفرج البـــاب عن صاحبها الاديب حتى أقبلت عليه باسمة تحييه وتقول فى جرأة متكلفة ، واستحياء ظاهر ، ان كنت اقبلت للوم والعتاب فعد أدارجك وارجع من حيث أتيت ، وخذ قطار الظهر . فان فى كتابك من اللوم والعتب والفلسفة والتشاؤم ما يغنى عن إضاعة الوقت . قال فان ما أضيعه من الوقت فى اللوم والعتب لن يكون شيئا بالقياس الى هذه الأسابيع الطوال التى اضعتها انت حين أبيت الا ان تقيمى هنا ، وأذهب أنا الى باريس .

قالت فذلك شيء قد كان ، وقد مضى بأثقاله وأوزاره وليس الى استدراكه من سبيل فلست أرى خيرا فى ذكره ، ولا نفعا لاعادة الحديث فيه ، قال أما أنا فأرى فى ذلك الخير كل الخير والنفع كل النفع ، لانك لم تستفيدى بما مضى ولن تنتفعى بذلك الفراق الطويل الاليم ، قالت ومايدريك ؟ قال أرأيتك لو أنبأتك بأنى سأقيم معك فى هذه المدينة وسأختلف معك الى دروس الجامعة حتى ينقضى الصيف ونعود معا الى القاهرة ، ماذا تصنعين ؟ قالت أو قادر انت على ذلك وقد انتهت أجازتك ، ولم يبق لك بد من القفول . قال فان الاجازات تمد وإن الحيل أوسع من أن تضيق وإن رسالة برقية قد ذهبت الى القاهرة خليقة أن تمنحنى من الوقت ما يتيح لى أن أختلف الى حجرات العلم بعد أن اختلفت الى معاهد اللهو والفراغ . قالت كالواجمة أوفعلت هذا؟ قال نعم قالت فعد الى باريس أو أذهب أنا اليها .

قال محزونا لابأس عليك فلن نلتقى فى هذه المدينة الا بياض هذا اليوم . ولكن كيف تريدين أن نقضيه ؟ واين تريدين أن نقضيه ؟ فما أظن أن غرفتك هذه الضيقة تسع احاديثنا وخواطرنا التى لاحد لها والتى ينبغى أن تكون حرة كالطبيعة الحرة ، ومطلقة كالهواء الطلق . وانى لاعرف من هذه الارض أكثر مما تعرفين . قالت فانى لاأعرف منها إلا الجامعة والفندق والطريق بينهما . قال أما أنا فلا أعرف الجامعة وإنما اعرف الجبل والسهل واعرف الربى والوديان . واعرف الغابات الملتفة والرياضة النضرة ، والغدران الجارية ، ذات الصفحات النقية ، والصوت الجميل ، واعرف بنوع خاص ربوة بديعة يجرى من تحتها جدول بديع لاتقع القدم فيها الا على عشب . ولا ترى العين فيها إلا جمال الشجر والزهر ، ولا تسمع الاذن فيها إلا هفيف النسيم وحفيف الورق وغناء الطير . وقد دارت حولها طائفة من الشجر الباسق الذى ارتفع فى الجو كأنه يريد ان يبلغ السماء ، والذى مد اغصانه فى كل وجه حتى التفت واشتبك بعضها ببعض ، وهيأت فوق هذه الربوة الجميلة الهادئة غرفات جميلة هادئة تصلح لتفكير المفكرين ، وحديث المتحدثين ، والراي عندى ان نقصد الى هذه الربوة فننفق فيها بياض هذا اليوم فانى مشوق الى ان اراها بعد ان فارقتها منذ اعوام وأن اراك فيها بعد ان فارقتك منذ ايام تعدل اعواما واعواما . قالت لا ارى بهذا بأسا ولكن على ان يسبق منك الوعد باثنتين . اما اولاهما فان تكف عن هذا العبث الذى اراك آخذا فيه . واما الثانية فان تكف عن اللوم والعتب ومايشبه اللوم والعتب من هذا التجنى الذى تحسنه ، اكثر مما تحسن أى شيء آخر ، قال زعموا ان قيمة كل امرىء ما يحسن ، فاذا كنت ترين انى ممتاز فى التجنى لا اكاد أحسن شيئا غيره وتطلبين الى مع ذلك الا اقصد اليه ولا اخوض فيه فانت اذا تريدين ان تضعينى موضع الذى يقول فيما لايحسن ، ويخوض فيما لا علم له به . قالت ذهبنا الى هذه الربوة الجميلة الهادئة رهين بهذا الوعد ، فلك ان تختار بين الجد الخالص الذى لا عبث فيه ولا دعابة ، ولا لوم فيه ولا عتب ، ومعه ربوتك الجميلة الهادئة وغرفتك البديعة التى تصلح للتفكير والحديث ، وبينما تحب من العبث والخلط تذهب فيهما كل مذهب ، وتندفع فيهما الى غير الطريق . قال أوحرنا فى الاختيار ، فانى اذن أختار الثانية وأوثر ان نطوف بالعبث والخلط فى شوارع هذه المدينة الصغيرة الهادئة ، لايضيق بنا مكان الا تركناه الى مكان آخر ، ولا نستنفد فنا من فنون السخف الا عدلنا عنه الى فن آخر . فانى اصبحت ارى السخف اقوم مافى الحياة . قالت لقد افسدتك باريس .

« البقيـــة على صفحة ٣٩ »

شـــاعر

للأســتاذ احمد أمين

شاعرنا اليوم نشأ جاهليا ، ونشأ فى الطائف . والطائف مدينة فى الجنوب الشرقى من مكة تبعد عنها خمسة وسبعين ميلا ، اشتهرت بطيب هوائها وجودة مزارعها . وقد اعتاد المترفون من العرب أن يقضوا الربيع بجُدّة ، والصيف بالطائف ، والشتاء بمكة . قال النميرى يصف أخت الحجاج بالنعمة :

تشتو بمكةَ نِعْمَةً ومَصِيفُها بالطائف

أخصبت أرضها ، وجرى الماء فى وديانها ، فكثرت مزارعها ، وجادت فواكهها ، من نخيل وأعناب . بها جبل يقال له « غَزْوان » كثرت كرومه ، وكان عنبه العذب وزبيبه الحلو مضرب المثل جودة وكثرة ، حتى ليروون أن سليمان بن عبد الملك لما حج رأى بيادر الزبيب فظنها حِرَاراً (١) فقالوا ليست حراراً ولكنها بيادر الزبيب

وقد حسدهم العرب على ما هم فيه من نعمة ، فسوّروا بلدتهم وحصنوها من أعدائهم ، فصارت ملجأ الهارب وملاذ الخائف ، وضرب المثل بمناعتها حتى قال القائل :

مَنَعْنَا أرضَنَا من كل حَيٍّ كما امْتَنَعَتْ بطائِفها ثقيف

كان يسكن الطائف قبيلة ثَقِيف ، وقد أكسبتهم أرضهم وثروتهم وطبيعة بلادهم وجوّهم رقيًا فى الحياة من الناحية الاجتماعية والعقلية ، فاقوا فيهما مَن حولهم من السكان ، وشعروا بعظمتهم فأكثروا من الفخر بأنفسهم ؛ وقال قائلهم :

وقد علمت قبائل جذمِ قَيْسٍ وليس ذوو الجهالة كالعليم
بأنّا نُصْبِح الأعداء قِدْماً سِجَالَ الموت بالكأس الوخيم
وأنّا نَبْتَنِي شرف المعالى ونَنْعَشُ عثرة المولى العديم
وانا لم نزل لجأ وكهفا كذاك الكهل منا والفطيم

وقد أنجبت ثقيف شعراء مجيدين فى الجاهلية والاسلام ، كما أنجبت ساسة وقادة نبه ذكرهم ، وعظم أمرهم ، فاشتهر منها من شعراء الجاهلية الشاعر المتدين أمية بن أبى الصلت ، وفى العصر الأموى الشاعر الشريف طُرَيْح الثقفى ، والشاعر الحكيم الأجرد الثقفى — واشتهر من أمرائها وساستها وقادتها الأمير القوى الحجاج بن يوسف الثقفى ، والقائد الشاب محمد ابن القاسم الثقفى فاتح السند ولما يكتمل العشرين ، والذى قال فيه القائل :

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
يا قرب ذلك سؤدداً من مولد

كما أن ثروتهم وحضارتهم استتبعت شهرتهم بالفجور والربا حتى أن رسول الله لما صالحهم كان من شروط الصلح أن يسلموا وألا يزنوا ولا يرْبوا

كذلك كانت كثرة العنب والزبيب فى بلادهم سبباً فى شيوع الخمر بينهم وولوع أهلها بشربها

وقد كانت الخمر شائعة بين العرب فى الجاهلية ، ولكن بين خاصتهم لا بين عامتهم ، إذ أن عامتهم قد عدموا القوت وحرموا ضرورات العيش . أما المترفون فشربوا كثيراً وقالوا فى شربها كثيراً . وقلّ أن نجد شاعراً جاهليا لم يتمدح بشربها وإتلاف ماله فى سبيلها .

وكانت الخمر تأتيهم من الشام ومن اليمن ومن الطائف ، وكان الأعشى الشاعر يتجر فيها ، وكان له بقرية فى اليمن يقال لها « أثافِت » مِعصَرة للخمر يعصر فيها ما يقدم له من أعناب

ونلاحظ من تاريخ العرب فى الجاهلية وتراجم رجالها أن هناك طبقة من الشباب اعتادت أن تتلف مالها فى الشراب ، هم فئة من أولاد السراة ، نشأوا فى ثروة وجاه ، وألَّفت بينهم وحدة النزعة ، يجتمعون فى المواسم والأعياد والمناسبات فينحرون الجزور ويهيأ لهم ، ويشربون عليه وتغنيهم القيان أو الموالى من الفرس والروم والأحباش ، ولكن هـــذه الطبقة لم تفقد مع شربها ولهوها شرفها وإباءها ، فهى مع ذلك كله نبيلة كل النبل شريفة كل الشرف — ثارت على كل شىء إلا قانون المروءة ، وقانون المروءة يتلخص فى الشجاعة والكرم . لا يعبأون بالحياة ، يبذلونها ـ فى سخاء ـ لأنجاد من استنجد بهم ، ونصرة الضعيف يستصرخهم ويلجأ اليهم ،

(١) الحرار جمع حرة أرض بركانية سوداء ، وبلاد العرب حرار كثيرة

لا قيمة لحياتهم اذا مست كرامتهم أو كرامة قبيلتهم أو اعتدى أحد على جارهم أو حليفهم أو عبدهم . ولا قيمة للمال يوم يسألهم سائل أو يدعوهم لبذله داع ، ولا بأس بالفقر يحل بهم وينزل بساحتهم . ولا ضرر اذا خسروا المال وكسبوا الشرف ، وويل لزوجاتهم إذا لمنهم فى الاستهتار بالحياة أو إتلاف المال ، إذ ذاك يصبون عليهن نقمتهم ويملؤن الدنيا شعرا فى لومهن وتأنيبهن

شاعرنا اليوم كان من هذه الطبقة . فتى . غنى . من ثقيف ، من الطائف ـ شجاع ، كريم ، يكثر الشراب ، ويتلف المال ويحتفظ بالمروءة ويقول

لا تسأل الناسَ عن مالى وكثرته
وسائل الناس عن حزمى وعن خلقى
القوم أعلم أنى من سَرَاتِهِم
إذا تطيش يد الرِّعديدةِ الفرِق
قد أركب الهَوْلَ مَسدولاً عساكره
وأكتم السِّرَّ فيه ضَرْبَةُ العنقِ
عف المطالب عما لست نائله
وإن ظُلمت شديد الحقدِ والحَنَقِ
وقد أجود وما مالى بذى فنع (١)
وقد أكرُّ وراء المُجحَرِ الفَرِقِ (٢)
سيكثر المالُ يوماً بعد قلته
ويكتسى العود بعدَ اليبسِ بالوَرَقِ

ظلت ثقيف على جاهليتها لا تذعن لدعوة الاسلام حتى أسلم مَن حولها ورأت نفسها بمعزل ، فاضطرت إلى الاسلام فى السنة التاسعة للهجرة ، وسمع شاعرنا بالاسلام وتعاليمه فوقف حائرا ؛ إن الإسلام يدعو إلى المروءة وهو ذو مروءة ، إن الاسلام يدعو إلى الصدق ومكارم الأخلاق وكل هذا حسن « فليسلم » ولكنه يأمر المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم ، ولا يمدوا أعينهم إلى غير نسائهم ، كما ينهى عن الخمر ويعاقب على شربها ، فكيف يسلم وقد ألف الغزل ولا حياة له بغير الخمر ؟ وقف قليلا ولكنه أسلم مع قومه وفوض إلى الله أمره ـ ولم نسمع عنه فى حياة رسول الله وأبى بكر شيئا ولكنا نراه اصطدم مع عمر وهو الشديد فى الحق لا تأخذه فيه هوادة . فعاد شاعرنا يتغزل ويشرب ـ يرى امرأة من الأنصار تسمى « الشَّمُوس » فيحبها ويحاول رؤيتها بكل حيلة فلا يستطيع ، فيؤجر نفسه ويعمل فى حائط يبنى بجانب منزلها ويطل عليها من كُوَّة البستان ويقول :

ولقد نظرت الى الشَّمُوس ودونها
حَرَجٌ من الرحمن غير قليل

ويشرب ويقول الشعر فى الخمر :

ان كانت الخمر قد عزت وقد منعتْ
وحال من دونها الاسلام والحرج
فقد أباكرها صِرفاً وأمزجها
رِيًّا وأطرب أحياناً وأمتزج

فيحده عمر حد الشرب ، فيفكر شاعرنا ويطيل التفكير : هل يترك الغزل والخمر ؟ ـ لقد كان ذلك قبل الحد أما بعده فلا ـ إن من العار أن يتحدث الناس أنى تركت الخمر خوفا من العقوبة وأنا الأبى الشجاع الذى لا يعبأ بالحياة ـ إذن فلأشرب وليحدنى عمر ـ وفعلا شرب فحد ، وشرب فحد ، وبلغ ذلك سبع مرات أو ثمانيا ، وهو لا يزال على رأيه ، مصمم على تفكيره ، ماض فى غزله وشربه ، حتى يئس عمر من علاجه وضاق به ذرعا ، فقرر أن ينفيه فى جزيرة كانت تنفى فيها العرب فى الجاهلية خلعاءها ، وبعث معه حرَسيًّا يحافظ عليه حتى لا يهرب ، وأوصاه ألا يأخذ سجينه سيفا معه ، وقد عرف عمر كيف ينتقم ، فلم يألم شاعرنا من شىء ألمه من هذا الرأى ـ سيكون فى جزيرة وحده لا غزل ولا شراب ، ولكن ليس هذا ما آلم نفسه وأدمى قلبه ، إنما آلمه أن يعيش عيشة الضعفاء المساكين والرجال فى غزوات الحرب يَقتُلون ويُقتَلون ، وأن يعيش عيشة النساء فى خدورهن وهو الفارس الكمى ، لا . لا . الموت أهون من هذا

تظاهر شاعرنا بأنه يحمل غرارتين ملئتا دقيقا وعمد إلى سيفه فجعل نصله فى غرارة ، وجفنه فى غرارة ، ودفنهما فى الدقيق

(١) الفنع زيادة المال ومال ذو فنع « كثير » (٢) المجحر الهارب الذى ألجىء الى الجحر

حتى إذا جاوزهو والحرسي المدينة ولقيامن سفرهما هذا نصبا جلسا للغداء، فقام شاعرنا يوهم أنه يخرج دقيقاً فأخرج سيفه ووثب على الحرسي فخرج يعدو على بعيره راجعاً إلى المدينة وظل صاحبنا وحده. الآن، لا أعود إلى المدينة وفيها عمر، ولا أطوف فى البلاد ألهو فلست بعد اليوم لا هيا، ولكن إلى حيث يحيا الرجال والفرسان حياة النجدة والشهامة — الى مواقع الغزوات. إلى أشدها هولا. وأصعبها مراساً إلى القادسية، حيث المواقع الفاصلة بين سيادة العرب وسيادة الفرس

ولكن عمر الساهر على كل شيء فى مملكته، لم يخف عليه أمر شاعرنا. فعرف أين توجه، فما وصل الى القادسية حتى سبقه كتاب عمر يأمر سعد بن أبى وقاص بحبسه. ففعل ذلك وحبسه فى قصره وقيده، فمشى يرسف فى قيوده ويستعطف سعداً أن يطلقه فزجره، فذهب الى سلمى زوج سعد وقال لها: هل لكِ إلىَّ خير؟ قالت: وماذاك؟ قال: تخلين عنى وتعيريننى البلقاء (فرس سعد) فلله علىّ إن سلمنى الله أن أرجع اليك حتى تضعى رجلى فى قيدى، فأبت فقام ثائراً حزيناً، يرى القتال على الباب وهو يرسف فى القيد، وانطلق لسانه بهذه الأبيات:

كفى حزَناً أن تطعَنَ الخيل بالقَنَا
وأُترَكَ مشدودًا علىّ وِثاقيَا

إذا قمت عنّانى الحديد وغُلِّقَتْ
مَغَاليق مِن دونى تصِمُّ المناديَا

وقد كنت ذا أهلٍ كثيرٍ وإخوة
فقد تركونى واحـداً لا أخا ليَا

هـلم سـلاحى لا أبالك اننى
أرى الحربَ لا تزداد الا تماديا

ولله عهـد لا أخيس بعهده
لئن فرجَتْ ألاَّ أزورَ الحَوَانيَا (١)

سمعت سلمى هذا الشعر فرثت لهورأت الصدق فى قوله فأطلقته، واقتاد فرس سعد وخرج إلى مواطن القتال واذا به أمام الناس يقف بين الصفين ويحمل على العدو حملات منكرة حتى عجب الناس من قتاله وأمره، ورأوا الفرس فرس سعد والطاعن لم يشهد الحرب معهم قبل اليوم، حتى إذا انتصف الليل وتحاجز العسكران رجع صاحبنا إلى القصر وأعاد رجليه فى القيد!

فلما أصبح الصباح تحدث الناس به وأخبرت سلمى سعدا بما كان منه فأطلقه وعاهده ألا يحده أبدا إذا شرب

الآن ظهرت نفس شاعرنا فى شرفها ونبلها وقال لسعد كنت آنف أن أتركها من أجل الحد، فأما اذ بهرجتنى فلا والله لا أشربها أبدا

لقد كان مما أخذه عمر عليه قوله:

إذا متُّ فادفنِّى الى أصـلِ كرْمَةٍ
تروِّى عظامى بعـد موتى عروقها

ولا تدفننى بالفَـلاَةِ فاننى
أخافَ اذا ما مت ألا أذوقهـا

ويشاء قاص من الظرفاء فيروى أنه رآى قبره بنواحى أذربيجان أو جرجان وقد نبتت عليه ثلاث كروم قد طالت وأثمرت واعترشت، وعلى قبره مكتوب: —

هـذا قبر أبى محجَن الثقفى

أفاض الله عليه سِجَال رحمته فقد كان رجلا وكان نبيلا ؟

أحمد أمين

الى أخينا فى الوطن والشباب

إن الجهاد من أجل مصر فريضة على كل مصرى.. وهى فريضة حملها الشباب فى كل المواقف مخلصين لها، أمناء عليها.

وها هو ذا عيد الوطن الاقتصادى ميدان جديد لجهادك، وحسن بلائك... فماذا يقعد بك عن الانتظام فى جيش المتطوعين لنصرته ؟!..

... توزع الدليل، وتبيع المنتجات، وتشترك فى الموكب والمهرجان، وتدعو الى صناعة مصر وتجارتها.

اطلب الاستمارة الخاصة بذلك من سكرتير اللجنة التنفيذية بمقرها فى نادى الجامعة المصرية ٢٢ شارع المناخ بمصر تليفون ٥٠٥١٨

---

(١) الحوانى جمع حانية وهى الحانوت

عيد الوطن الاقتصادى

رأى ونصيحة

للدكتور منصور فهمى

وجه أحد شباب المشروع الى عميد كلية الآداب هذين السؤالين :

١ — ما رأيكم فى عيد الوطن الاقتصادى كمظهر من مظاهر الشباب ؟

٢ — هل لكم من نصيحة توجهونها الى الشباب القائم بالمشروع ؟

فأجاب الأستاذ عنهما بما يأتى :

١ — لا شك أنى أقابل بالعطف والتشجيع كل جهد مخلص فى سبيل النهضات الاقتصادية والدعاية اللائقة لها ، لأننا نعتقد أن فى تلك الجهود ما يعين على خدمة الاخلاق ، وذلك أن كل مشروع يوسع مجال العمل قد يضيق حظائر البطالة وما يتسبب عنها من المفاسد والشرور ، وطالما بين لنا التاريخ أثر الحياة الاقتصادية فى نهضات الشعوب العقلية ، وفى نظامها الخلقى ، فالانسان لا يطيب له التأمل والتفكير إلا إذا كان رزقه فى يسر وسعة : ومن تضيق به موارد العيش قد يركب صعاب الامور ويهون عليه اذا لم يكن من الذين تحصنت نفوسهم بالشدة فى الخلق ، أن يفرط فى ماتدعو اليه الاخلاق الفاضلة ، وإنى إذن اعتمد على ما قدمت لابارك للشباب جهده فى الدعوة إلى خدمة الحياة الاقتصادية بشتى المظاهر الجديدة لشباب مثقف نشط فى قدرته أن يحسن الاختيار لأساليب الدعاية البريئة المهذبة .

٢ — أما أول نصيحة أوجهها للشبان القائمين بالمشروع فهى ألا تأخذهم نشوة الحماسة إلى دعوة محمودة فيعتمدون كل الاعتماد على رأيهم ولوامع خيالاتهم دون أن يرجعوا لآراء المجربين الخبيرين ممن اشتغلوا بالامور الاقتصادية ، لأن مسائل الحياة الاقتصادية فى الأمم متشعبة كثيرة الاتصال بشتى المسائل العمرانية ، وقد لا يصيبها النجاح المرجو اذا هى لم تعالج فى فطنة ودقة ، وخبرة وكياسة ، ومن أجل هذا أوصيهم بكل شدة أن يقتحموا هذه الأبواب ومعهم زادهم من نصائح كبار الاقتصاديين من مواطنيهم ، وتوجيهاتهم لكى تغذى تلك الارشادات نشاطهم ، فيسير إلى حيث يثمر الثمرات الطيبة . وأما نصيحتى الثانية فهى أن تقوموا بعملكم المشروع بنفس زكية لا يداخلها عداء لأعمال غيركم ، انما يداخلها الايمان بمشروعية عملكم وقيمته وطهارة سبله ونزاهة الوسائل التى تحققه

ويجب ألا ينسيكم العمل المبرور أعمالكم الدراسية لأنها الواجب الأول المباشر فى المرحلة التى انتم فيها ، فاذا كان لديكم فضل من الوقت تروضون فيه أنفسكم على الأعمال الاجتماعية عن طيب خاطر وعن إخلاص وعلى نحو ما نصحت لكم فانى آمل أن يوفق الله مسعاكم ؟

بطالة المتعلمين

ورأينا فى علاجها

للدكتور محمد حسين هيكل بك

لاشىء يعنى به شباب مصر فى هذه السنين عنايته بالشئون الاقتصادية . وما يزال مشروع القرش ماثلا فى أذهان الناس ، وما يزال شبان القرش مستعدين للهجوم اذا آن موعده فى أول كل عام جديد . وهانحن نكتب هذه الكلمة لعيد الوطن الاقتصادى وأنت حيثما ذهبت لم تكد تسمع شيئا الا فى الاقتصاد والمشروعات الاقتصادية وما اليها . فما عسى يكون السبب فى هذا ؟

السبب فيما يخيل الينا هو هذا الذى يسمونه عطلة المتعلمين ، فالمدارس فيما يزعمون تخرج عددا أكبر بكثير مما تحتاج إليه وظائف الدولة ، ومما تحتاج إليه الاعمال الحرة المعروفة الى اليوم ، فلابد من خلق أعمال حرة جديدة ليقتحم هذا الشباب المتعلم ميادينها ولتبرأ البلاد بذلك من مرض العطلة . وقد يكون هذا صحيحا ولكن هل ينجع مثل هذا العلاج فيوجد عملا لمن تخرجهم المدارس العليا والكليات والمدارس الفنية والخصوصية فى كل عام ممن لا يجدون عملا فى الحكومة أو فى الوظائف الحرة المعروفة ؟ وهل ينجع فى ايجاد عمل للألوف الذين يحصلون على شهادة الدراسة الثانوية ولا يستطيعون إتمام دراساتهم العالية والفنية ؟ نشك فى هذا كثيرا . وعلة الشك ان هؤلاء المتعلمين يريدون عملا من طراز معين . يريدون عملا على مكتب من المكاتب ويأنفون العمل اليدوى . وهذا العمل على مكتب لا يتيسر للألوف وعشرات الألوف ممن يتخرجون ، فلا طاقة لمشروعات الشباب بمواجهة رغباتهم وبأيجاد أسباب الكسب لهم .

وعلاج هذه الحال فى رأينا إنما يكون بفتح أبواب التعليم على مصاريعها جميعاً ، للناس جميعاً . وجعل التعلم فى متناول الكل ، ينهل منه من شاء فى حدود طاقته . يوم يصبح الكل متعلمين ، ولا تكون طائفة المتعلمين محصورة لا يأنف الانسان أن يباشر

عملا يدوياً أو غير يدوى، ويومئذ يصبح كل عمل شريفاً، ويومئذ يمسك المتعلم بالفأس والمحراث، ولا يرى فى ذلك ما يحط من شأنه، ويشتغل المتعلم فى الصناعات المختلفة، فى صناعة الجلود والأحذية، فى التجارة والحدادة، فى فلاحة البساتين، فى التجارة بمختلف أنواعها، ولا يكون واحد من هذه الأعمال أقل رفعة ومكانة وتشريفاً لصاحبه من العمل على مكتب، ولا من منصب الوزارة أو أى منصب حكومى آخر

هذا فى رأينا هو الحل العملى المنتج، فعلة بطالة المتعلمين وعطلهم: أنهم يرون أنفسهم طائفة خاصة ممتازة، يجب أن يكون لها عمل خاص ممتاز. فاذا لم يجد أفرادها هذا العمل فضلوا البطالة ولو تكففوا الناس بعد ذلك، فاذا زالت عنهم صفة الطائفة، بأن أصبح الناس جميعا متعلمين وجب على هؤلاء المتعلمين أن يزاولوا كل الأعمال فأصبح بذلك كل عمل شريفا كما قدمنا، وانفسح الميدان لكل من يريد أن يقتحمه

لا يقلل هذا من تقديرنا لمجهود الشبان فى الوقت الحاضر. ولكننا نعتقده غير قادر على علاج المشكلة التى دفعت الى هذا النشاط إلا بمقدار، وبهذا المقدار يستحق الشباب الحمد والشكر ؟

محمد حسين هيكل

نـــداء

لسكرتيرة المتطوعات

أخواتى:

أقسم الشباب أن يمضى جهاده بعزيمة قوية وهمة فتية يريد لمصرهنا موفوراً، ورخاءسخياً، ويسراً عريضاً، فهلا ساهمت معهم بوطنيتك وايدتهم باخلاصك ووفائك ؟ إن الشروع لا يطلب اليك أكثر من أن تؤمنى بعقيدة الجهاد فى سبيل مصر: ترتدين الرداء المصرى الصميم، وتدعين للصانع والتاجر المصرى فى الوسط الذى تعيشين فى أفقه، وتوزعين الدليل الوطنى أيام العيد: وتحفين بالموكب فى مهرجان مصر، التى نعيش من أجلها، ونجاهد فى سبيلها

ولقد حرصت لجنة المتطوعات على أن تعمل بعيده عن الأفق الذى يجاهد فى حدوده اخواننا الشبان، رعاية لتقاليد البلاد، وصوناً لسمعة المجاهدات وحرصاً على صفاء الجو الذى تناضل فى أفقه.. فهيا إلى العمل وليكن شعارنا الذى نفاخر به: «مصر للمصريين»

سعاد حسن

... بل مصر مصرية !

بقـــلم الآنسة مى

«مصر للمصريين». هذه الكلمة أقرؤها لكم كاتبين، أيها الشبان، وأسمعها منكم محدثين.

وإنها لكلمة جميلة خصيبة عادلة. لكنْ ما هو أجمل منها وأخصب وأعدل هو الغرض الذى ترمون اليه فى حركتكم الوطنية الاقتصادية: جعل مصر مصرية !

المعلوم عن مصر أنها بحكم موقعها الجغرافى بلدٌ دولىٌ حتما. فهى بمقتضى ذلك تفتح بابها لكلِّ شعب، وترحِّب بكلِّ حضارة، وتستسيغ كل صناعة، وكلُّ ثقافة تجدُ فى مغناها ضيافةً وانتشاراً.

ولما كان لكل مقام مقال، فان مصر لم تعدم من ينعى عليها موقفها ذاك. والشعراء — الشعراء البررة القساة، كم استوحوا هذا الموضوع فنمّقوا المراثى يعرضون فيها جيوشَ المصائب والمحن الضاربة فى هذا البلد الأمين، ويشهدون العالمين - باللغة الفصحى ! - على ما معناه أن: «مصر بنت طيبة، ولكنها مظلومة قضاء وقدراً»!...

ولكم بكى الباكون من جراء وقع هــذه البلاغات الشعريات (... جمع بلاغة شعرية !). وإن لم يبكوا بدموع تُمسح بالمناديل فلا أقلَّ من زفرات ملتهبة تتسرَّب من القلوب المحروبة حيث الشفاه تردّد قول الشاعر: «مصر بنت طيبة، ولكنها مظلومة قضاء وقدراً!»...

***

فتيان مصر، فتيان الحياة الجديدة فى مصر !

بحركة واحدة قمتم أنتم قومة رجل واحد. قمتم لأنكم بحميَّتكم الأبية، وبشبابكم الحارّ، وبوفائكم البصير، أدركتم أن سلاسل القضاء والقدر كثيراً ما يحبكها المرء لنفسه، وأن البلاد كثيراً ما يهمل أبناؤها أمرها فيكونون لها ظالمين!

أمصر ميدان لشتى الصناعات والثقافات والحضارات ؟ إذن لتستفيدوا من كل أولئك. وما كان فى نظر المتشائمين موضوع رثاء وحسرة ينقلب بين أيديكم موضوع جذل وأريحية

وميدان خير عميم ! تأخذون من كل قوم خير ما عندهم من ابتكار ونظام وتدبير، فتطبقونه على قومكم بمقدار ما يتناسب وحاجاتكم. وما أنتم بذلك إلا ماشون سنن التاريخ. فما من صناعة أو ثقافة أو حضارة إلا اقتبست شيئاً مما سبقها أو استلهمت شيئاً مما يحيط بها.

ما هو الفرق بين مصر وبين غيرها من البلدان القوية؟ أوّل فرق ظاهر أن البلدان القوية تستهلك ما تنتج، وتدفق على غيرها من الأقطار ما يفيض عن حاجتها، فى حين أن مصر تنتج قليلا وتستهلك كثيراً مما يقدمه لها المنتجون. وهذا هو النقص الذى قمتم تعالجون !

أوتذكرون قول الاسكندر قبل أن يقـــدم على فتح الأمصار القريبة والبعيدة؟ قال: « أريد أن أرث عن أبى فيليب بلداً صغيراً فقيراً مرتبكا ليكون لى الفخر بأن أجعله بلداً فسيحاً غنيًّا تضرب الأمثال بقوانينه وأنظمته وعظمته ».

أنتم ورثتم عن آبائكم بلداً عظيما غنيا ما زال فى حاجة إلى التنظيم فى بعض نواحيه. ولتكونوا فخورين بهذا الوطن وخصائصه، ولتكونوا فخورين بحاجته اليكم، وبما لا يروقكم فيه. ولتكونوا فخورين لأنكم وجدتم فى هذا العهد الذى تستطيعون أن تقوموا فيـــه بالخدم اللاَّحة ! كذلك تسبرون غور مقدرتكم، ومبلغ تأثيركم، وتعرفون مقدار قيمتكم الأدبية أفراداً وجماعة !

عيدكم عيـــد الوطن، وعيد نشاط الوطن. صيحوا بأصواتكم الفتية بوجوب توزيع إنتاجه من كل نوع وكل صنف وكل فصـــيلة، اهتفوا فى قومكم أن اجعلوا أثوابكم مصرية، وأثاثات منازلكم مصرية، وزينات حياتكم مصرية، لتهيئوا وسائل العمل والرفاهة للملايين الأيدى المصرية.

ردّدوا أن خذوا عن الآخرين، واقتبسوا، وحصلوا، على أن تمصّروا كلّ ما تحصّلون وتقتبسون وتأخذون، فينقلب كلٌّ منكم اسكندراً خلّاقاً فى بابه !

* * *

فتيان مصر، فتيان الوادى الأخضر !

عيدكم رأس سنة جديدة، بل هو مطلع عهدٍ جديد ! هو مطلع العهد الذى تسعون فيه إلى تمصير حاجاتكم. فلا يكفى أن تكون مصر للمصريين، بل يجب أن تكون مصر مصرية !

ولكم الفضل، بلفت البلاد إلى هذا الشأن الخطير. إن لتربة بلادكم هذه خاصّة سحرية فى تحويل كل غريب عنها إلى جزء منها. فكم ذا تصبح هـذه الخاصة فعّالة إذا ما أنتم عالجتموها بما نراه منكم من ذكاء وإدراك وهمة وحماسة وحيوية !

عيشوا تحقيقاً للرجاء الذى يجعل واديكم دائم النضرة، ويجعل علَمَكم دائم الخضرة !

ولتعش مصر مصرية !

كيف نحافظ على وجودنا الاقتصادى؟

للاستاذ محمد فريد وجدى

الثروة للامم - والثروة الاجتماعية تطلق على النقود المسكوكة وكل ما تثمره الأرض وتنتجه اليد العاملة - كالدم الذى يجرى فى الجسم الحى ويوزع على كل عضو بل وكل خلية فيه مايقيم حياتها ويجعلها صالحة لأداء وظيفتها. والطرق التى تجول فيها هذه الثروة لاعطاء كل فرد نصيبه منها تشبه بالشرايين والاوردة من الجسم الحى

واذا كان لاحياة لجسم بدون دم، فكذلك لاحياة لأمة بدون ثروة. واذا كانت صحة ذلك الجسم تتطلب دما كافيا حاصلا على جميع مقوماته البيولوجية، فكذلك الثروة الاجتماعية يجب أن تكون كافية لحاجات المجتمع وحاصلة على العناصر التى تتطلبها حياة الاجتماع.

واذا كانت تستتبع قلة مقدار الدم فى الجسم الحى وفساد تركيبه ادواء عضالة من الانيميا والخلوروز وما يجران إليه من العلل المترتبة عليهما، فكذلك عدم كفاية الثروة الاجتماعية تولد لهيئة المجتمع ادواء من الضعف العام ومن الاضطراب فى وظائفه يصبح المجتمع معها عرضة لكل ضروب المتالف فيجمد حيث هو، أويختل توازنه، اويعتل وجوده، ويصبح لا يغنى عن نفسه شيئا.

لهذا السبب قام ازاء اطباء الاجسام فى كل ادوار الامم اطباء للاجتماع تولوا تدبير الثروة العامة بضروب شتى من الوسائل،

واطباء الاجتماع اليوم اكثر تبعات مما كانوا عليه فى سالف العصور بسبب تعقد المبادلات بين الأمم، ومزاحمة الاسواق بعضها لبعض، وتشابك الصلات المالية بعضها ببعض، اصبح علم الاقتصاد من أوسع العلوم اختصاصا واشدها تركبا. وها نحن أولاء نسمع جؤار الشعوب تحت كلاكل هذه الازمة العالمية، ونشهد جهاد الاقتصاديين فى علاجها بما لم يتفق مثله للبشر فى أى عهد من عهودهم: فاذا كنا لانعتبر بكل هذا فنتوفر على درس هذه الحالة فيما يختص بنا توفرا يناسب احوالنا الحاضرة فاننا نجنى على انفسنا جناية نحاسب عليها حسابا عسيرا، ونذوق وبال امرنا منها جزاء موفورا.

وأول ما يجب أن ندرسه من مسائلنا الخاصة هو أن نعرف هل ثروتنا العامة التى تثمرها أرضنا وأيدى عمالنا تكفينا الحاجة أم لا؟ وهل هذه الثروة توزع على جميع أفرادنا أم لا؟ وهل يتسرب منها شىء الى الخارج كان يجب أن يبقى لدينا أم لا؟

هذه المسائل الثلاث يجب ان تشغل كل فرد من أفراد مجتمعنا على السواء، ولا يجوز ان تقتصر على الذين يشعرون بالحاجة المعيشية فقط، لأن الضعف والاعتلال اللذين يحيقان بمجتمعنا لا ينحصران فى الطبقات المحرومة من الثروة ولكنهما يعمان الكافة، فيكون نصيب أصحاب الأموال أشد مما ينال صغار الناس منهما. أما ترى اليوم ماذا أصاب أصحاب رءوس الاموال الطائلة من البؤس والاقلال بسبب الأزمة الحاضرة، حتى ان صاحب مئات الفدادين أصبح لايجد مايقوت به نفسه، وتعرضت أملاكه للبيوع الجبرية؟ ومنهم من تجرد من جميع ما كان عنده فأصبح معوزا لايملك شروى نقير ولايصلح لأى عمل! وما ظنك لواشتدت وطأة هذه الازمة أو امتد عهدها سنتين اخريين أو ثلاث سنين اخرى؟ دع مصر جانبا وانظر الى أعلى الامم كعبا فى الثروة والمدنية، ألم تجد الاحوال فيها شرا مما نحن عليه. ألم توصد عشرات من المصارف أبوابها. ألم تسد منافذ الارتزاق فى وجوه الملايين من أبنائها؟ ألم ينضب معين الثروة فى خزائن حكوماتها فاضطرت لضرب الضرائب الفادحة على مموليها؟ ألم يتناول الضغط على نفقاتها مرتبات موظفيها فاسقطت نحو الثلث من مرتباتهم ولاتزال تتهددهم بتخفيضات جديدة؟

هذه كلها عبر يجب علينا أن نتأمل فيها، وان نعمل على تلافيها.

واذا كان الأمر من الخطورة عند هذا الحد أفلا يكون أوجب الواجبات أن نحاول ألا يتسرب قرش واحد الى خارج بلادنا الا اذا كان فى حاجة ماسة، ولضرورة قصوى؟ وهذا ماتفعله كل امة وتتشدد فيه اليوم شعورا منها بان دولاب الاعمال مادام معطلا وحركة المبادلات بطيئة، وجب أن ينحصر مال الامة فى بلادها حتى لاينضب معينه فيها فتصاب بأشد ضروب الاعسار ولا كرامة

وما دمنا قد شبهنا ثروة الامة فى مجموعها بدم الحياة للفرد الواحد، فقد ساغ لنا ان نشبه خروج تلك الثروة من بلادها دون أن تستعيض عنها من طريق المبادلات مايعادلها، بداء النزيف الدموى. فالأمة التى لاتبالى فى مثل هذه الاحوال بتسرب ثروتها الى خارج ديارها، يكون مثلها كمثل فرد أصيب بالنزيف وحكم عليه فوق هذا ألا يستعيض عما يفقده من دمه بتناول المواد المعوضة.

ولست استطيع بعد هذا ان احدد تبعة من يتجرأ على تبديد ثروة البلاد خارجها بالتعويل على الواردات الاجنبية التى يجد فى بلاده مايقوم بحاجته منها، قديكون مايجده منها فى بلاده اقل جودة، اولا يفى بمرامه من كل وجه. فهل يجوز أن يحمله ذلك على الانصراف عنه محولا جزءا من ثروة الأمة الى ثروة امة اخرى، فى وقت هى احوج ماتكون الى المعونة والمساعدة. وهل يرضى لنفسه أن يكون فتقا فى شرايينها ينزف منه مقدار من دمها هى احوج ماتكون اليه فى ضعفها وقلة حيويتها؟

يخيل الى أن وطنيا لايرضى لنفسه أن يكون سببا فى هذا الشر المستطير لو وقف على جلية هذا الأمر وادرك خطورته على امته وعلى نفسه أيضا.

فليحرص كل منا على القيام بواجبه من التعويل على مصنوعات بلاده وترويجها بكل ماأوتيه من قوة.. لاننا لانستطيع أن نحافظ على كيان بلادنا فى معمعان هذه الازمة العالمية الطاحنة الا بهذه الوسيلة، وهى طوع أرادتنا، ومن مقدورنا، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه، والسلام؟

محمد فريد وجدى

الصناعة عنوان الحضارة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

للأمم «معامل» تصنع فيها المصنوعات المعنوية من شرائع وسياسات وأخلاق وعادات كما تصنع فيها المصنوعات المادية من أنسجة وأحذية وألبسة وآلات. ولا تقل هذه دلالة عن تلك على مبلغ أصحاب «المعامل» من الارتقاء العقلى. بل ربما كانت المصنوعات المادية أدق فى التعبير عن ذهنية الأمم من المصنوعات المعنوية لأنها محسوسة ملموسة تقبل الموازين، وأما تلك فهى أوضاع ومقاييسها معنوية مثلها.

ولكل عصر من العصور طابع خاص بالصناعة التى راجت فيه. فعصر الفروسية مثلا — وهو من أقرب العصور التى عرفناها — امتاز بصنع اللجم والركب والسروج كما امتاز عصرنا بصنع المحركات للسيارات والطيارات وآلات الزراعة، وقد أحب الفرسان الخيل والعدو على ظهورها وعقدوا بناصيتها الخير فتفننوا فى الأدوات التى تلازم ركوبها، وأما نحن فقد فتنا بالسرعة واستخراج أعظم محصول بأقل مجهود فبرعنا فى عمل «الموتورات»

نحن فى الشرق من أسبق الأمم الى عمل المصنوعات بالمعنيين

المتقدمين ، لكننا تراجعنا فيهما كليهما ، فحلقات الدروس وما يجرى فيها من بحث عن موضوعات عقيمة سخيفة بالية وهى لا تقاس بما كان عليه السلف فى العصر العربى الذهبى ، تدل على هذا التراجع كما تدل عليه المصنوعات المزيلة الخالية من المتانة والذوق والمعروضة فى الاسواق والحوانيت . وزيارة واحدة لمكتبة من المكاتب الكبرى فى دمشق أو بغداد أو القاهرة وتقليب صفحات من بضعة كتب من الكتب المصفوفة على رفوفها هى مثل زيارة لمتحف من متاحفها والقاء نظرة على ما يعرض فيه من النفائس - فيها المقنع الكافى على صحة ما قلنا .

وقد دخلنا الآن فى دور النهضة ويلوح لى اننا سبقنا الى مباشرة المصنوعات المعنوية ، ولكننا من حسن الحظ أخذنا أخيراً فى مباشرة المصنوعات المادية أيضاً كما تشهد المعامل والمصانع الحديثة المنصوبة فى هذا القطر السعيد وما جاوره من الاقطار العربية الشقيقة .

ولا أعرف حافزاً دفع الامم الى الأخذ بالصنائع مثل الحرب العامة ، فقد كان من نتائج الحصار الذى عانته الشعوب فى غضونها وانقطاع أسباب المواصلات بينها ان التجأ بعضها الى مصنوعات تكاد تكون من عمل القرون الخالية ، ولا أزال أذكر كيف أن انقطاع الثقاب والنفط (الكاز) عن سورية مثلا فى سنى الحرب العالمية عاد بالاهلين الى استعمال القداحة وسراج زيت الزيتون . وكان هذا الحافز أشد ظهوراً فى الحاجات والادوات يتوقف عليها تسيير دفة القتال كما هو ظاهر من اخفاق روسيا العزلاء فى هجومها المتكرر على المانيا والنمسا وتركيا وخروجها من الحرب أخيراً على تلك الحالة المزرية منكسة الإعلام

لا جرم أن الامم التى شعرت يومئذ بنقص مصنوعاتها وتعلقها على غيرها من الامم وارتباطها بها اقتنعت بعد هذه الدروس الخطرة المملوءة بالكوارث ان لا بد لها من الاستقلال الصناعى وهو لا يقل شأناً عن الاستقلال السياسى ، بل لا يتم هذا بالمعنى الصحيح من غير ان يتحقق ذاك . لان الامة التى تنتظر غيرها أن يعمل لها البنادق والمدافع للدفاع عن حوزتها هى امة غير مستقلة فى أهم شؤونها .

وزاد الشعور بهذه الحاجة تلك الوطنية الاقتصادية الحديثة التى تحاول أن تصدر كل شىء وألا تستورد شيئاً ، وما هذه الحواجز الجمركية القائمة بين الشعوب الا عنوان هذه الوطنية الصارمة ، ويكون جزاء الامة المتساهلة فى هذا الباب اغراق أسواقها بمصنوعات غيرها واختناقها بمصنوعاتها ، وعرفت انكلترة من بين سائر الامم بالميل فى تجارتها الى « الباب المفتوح » ولكن حوادث الزمن أرغمتها على اغلاقه كما علمت غيرها أن تكون متشددة ، وما لم يقم التفاهم مقام التنازع — وهذا مستبعد فى الاحوال الحاضرة — فان هذه الحواجز ستشتد وتقوى .

ان نهضة مصر الصناعية هى مثل النهضة الصناعية فى الاقطار العربية الشقيقة تدل على تغيير جوهرى فى الذهنية العامة وشعور بالحاجة الى الاستقلال والاعتماد على النفس ، وهذا الشعور هو ركن عظيم من أركان الانقلاب السياسى المنشود ، لان الحاجة تفتق الذهن وهى أم الاختراع .

عبد الرحمن شهبندر

البعث

للأستاذ توفيق الحكيم

«حوريس — انهض . انهض يا أوزيريس !
أنا ولدك حوريس . . .
جئت أعيد اليك الحياة .
جئت أجمع عظامك .
وأربط عضلاتك ،
وأصل أعضاءك . . .
أنا حوريس الذى يكوّن أباه .
حوريس يعطيك عيونا لترى ،
وآذاناً لتسمع . وأقداماً لتسير ،
وأيادى لتعمل . . .
ها هى أعضاؤك صحيحة ،
وجسدك ينمو ،
ودماؤك تدب فى عروقك .
إن لك دائما قلبك الحقيقى ،
قلبك الماضى !
الميت — إنى حى ، إنى حى ! . . »

« كتاب الموتى »

وحوريس ليس إلا الشباب ، يعيد الحياة إلى ماضيه الميت . نعم هو الشباب الذى يكون أباه الوطن . وقد أعطاه بالفعل عيونا يرى بها غابره العظيم فى حريته ، وحاضره الذليل فى قيود الغرباء ، وآذانا يسمع بها ضحكات السخرية من أفواه الجبناء الذين جاءوا يستغلون رقاده ويستلبون خيراته . كما أعطاه أقداما يسير بها كى يثبت لهم أنه حى ، وأيديا يعمل بها على تشييد الصرح المهدوم . إن أعضاء الوطن صحيحة لم ينقص منها عضو . وهاهو ذا جسده يتحرك وينمو ، والدم يجرى فى شراينه . والشباب على رأسه يصيح : « ان لك دائما

حركات الشباب

للأستاذ سلامه موسى

ربما كانت أولى حركات الشباب فى هذا القرن حركة الفتيان الكشافة التى ذاعت بين جميع الامم . وقد تناولت الصبيان الى سن الشباب وملأت حياتهم صحة لاجسامهم وخدمة لبلادهم وثقافة فيما يتصل بحياة الخلاء والتجوال

ثم ظهرت حركة اخرى بين الشباب هى الحركة الفاشية وقد اتخذت منذ بدايتها لونا سياسيا وطنيا . واستطاعت هذه الحركة - على الرغم من عيوب فيها - ان تقوم بالمعجزات فى ايطاليا لرفعة الوطن

وظهرت منذ نحو ست سنوات حركة جديدة هى حركة الفتيان الجوالة . وكان منشأها فى المانيا حيث يخرج الفتى ومعه القليل من الملابس فيجول فى انحاء المانيا ويقضى الليل فى مأوى ريفى صغير لا يكلفه نوما وفطورا اكثر من خمسة قروش . وما يزال فى هذا التجوال يزور المدن والقرى والجبال والسهول بضعة اشهر يرى فيها انحاء المانيا فيعرف بلاده معرفة الخبير الذى عاين احسن مافيها ويحبها لذلك اكثر ويزداد امانة فى خدمتها

وقد فشت عندنا نحن فى السنوات الثلاث الماضية حركة اخرى بين الشباب انطبعت بطابع الحاجات الاقتصادية . فقد رأينا أننا مغبونون أمام الأجانب ، فى التجارة والصناعة ، وأننا من الفاقة بحيث أصبح مزارعونا مثقلين بالديون ، وان البلاد كلها تعيش بالزراعة وتكاد تجهل الصناعة . وكان شعورنا بالوطنية الاقتصادية ضعيفا ، حتى اننا فى إحدى السنوات القريبة الماضية اشترينا من الأطعمة ما بلغ ثمنه سبعة ملايين من الجنيهات ، وهذا فى بلاد زراعية كان عليها على الأقل أن تكتفى نفسها طعاما ان لم تصدر ما يفيض منه الى الخارج

لذلك ماكادت الصيحة إلى إيثار المصرى على الأجنبى تعلن الى الشباب حتى أخذها هؤلاء وجعلوا منها شعلة لن تنطفىء . فرأينا جمعية المصرى للمصرى ثم مشروع القرش ثم جمعية الاستقلال الاقتصادى ثم مشروع القرش ثم يوم عيد الوطن الاقتصادى

وهذا التنبيه العام الى الصناعة والتجارة المصريتين يعزى الفضل فيه الى شبابنا . هؤلاء الشباب الذين يجب على كل منهم أن يكون رقيبا على ثروة البلاد . يراقب نفسه أولا لا يأكل هو نفسه سوى الأطعمة المصرية . ولا يلبس سوى الأقمشة المصرية ، ولا يؤثث بيته إلا بالأثاث المصرى . وقد نحتاج الى بعض البضائع الاجنبية ولكن يجب علينا عندئذ ألا نشتريها إلا من التاجر المصرى ، ثم بعد ذلك يراقب غيره حتى يكون داعية للصناعة المصرية فينصح لأصدقائه ويطلب من زعمائه أن يتخذوا الملابس المصرية

وعيد الوطن الاقتصادى هو يوم نخصه للدعاية . ولسنا نعتقد ان فى البلاد خصما واحداً لهذه الدعاية التى يقوم بها شبابنا لكن يكسبونا كرامة اقتصادية ماأعظم حاجتنا اليها فى هذه الأيام السود التى تباع ممتلكات الفلاح فيها بيع السماح بل بيع الجبر فى سوق الدلالة ؟

سلامه موسى

قلبك الحقيقى . . . قلبك الماضى ! . . » . ويخيل إلى أنى أسمع الوطن من كل جانب يلبى النداء ويجيب الشباب الأبناء : «إنى حى ، إنى حى ! » إنى دائما أومن بأن مصر لا يمكن أن تموت . لأن مصر منذ الأزل ظلت تعمل وتكد آلاف السنين لهدف واحد : مكافحة الموت . ولقد فازت مصر ببغيتها . وكلما ظن الموت أنه انتصر ، قام حوريس من أبنائها يصيح : «انهض ، انهض أيها الوطن! إن لك قلبك الحقيقى دائما . . . قلبك الماضى ! » واذا الموت يتراجع أمام صوت داو من أعماق الوطن : « إنى حى ، إنى حى ! »

لست أعجب الآن لصيحات الشباب ومشروعات الشباب ، فهى صيحات حوريس يوقظ أباه . إنما عجبى لأدراك الشباب أن أقوى مظاهر اليقظة هى : النهضة الاقتصادية : هى الدماء السخية التى تجرى فى جسد مصر قانية قوية . مرحى للشباب ! هذا الابن الحق . لقد فهم سر الحياة ، كما فهمها حوريس . وبارك الله فى عيد الوطن الاقتصادى ، فهو اليوم الذى سيردد فيه الوطن ، وهو ناهض على قدميه . . وهو ملوح بيديه ، صوته الخالد : « إنى حى ، إنى حى! »

توفيق الحكيم

الى تجار مصر وصناعها

عيد الوطن الاقتصادى يسعى لخيركم ويجاهد فى سبيل انصافكم . يريد أن يجعلكم قبلة الجمهور وموضع تعضيده وايثاره ويبذل لتجارتكم وصناعتكم رعاية يغذيها أمل أمة وجهد شباب .

فهل ساهمتم بنصيبكم فى ساحة هذا الجهاد ؟ — سارعوا واشتركوا فى الدليل الجامع . — سارعوا واشتركوا فى المهرجان والموكب .

— سارعوا وانتهزوا فرصة هذا العيد ليتولى متطوعو المشروع ومتطوعاته تصريف بضائعكم . .

اطلبوا الاستمارات الخاصة بذلك من مقر اللجنة التنفيذية لعيد الوطن الاقتصادى بنادى الجامعة المصرية ٢٢ بشارع المناخ تليفون ١٨ ٥٠٥

بين الشرق والغرب

لسكرتير لجنـــة الدعاية

قرأت لزميل نقداً ممضاً مريض الحجة ينصب على الجامعة فى غير روية ولا أناة . فما التقيت به حتى أخذت فى لومه والعتب عليه مستكبرا منه أن يطعن فى معهد يظله ويحنو به . فبرم بموقفى من نقده ، واستشاط حماسة وانطلق يقول : إن القلم الذى لا يستطيع أن ينجو بالحقيقة من ضيق العواطف ، ويكفل لها ساحة رحبة النطاق ، واسعة الأفق ، لهو قلم كليل قصير الأجل لا ينتظر له خلود .. واليوم الذى ترى فيه الجامعة طلابها وقد ملأتهم الجرأة فى سبيل الحق . وسكن فى قلوبهم استقلال الرأى ، لهو اليوم الذى يؤمن فيه الناس بأن الجامعة قد أدت رسالتها على أكمل وجه وأتم صورة ... وانطلق الزميل فى بسط فكرته تحت تأثير عاطفة قوية وميل جامح .. !

فقلت له إن الجامعة موطن علمك ومعين ثقافتك . فمن حقها عليك أن تتولى الذود عنها إن حاق بها اعتداء أو أصابها ضر . فان قعدت عن حمايتها فلا أقل من أن تحجم عن الاشتراك فى هدمها . وتتورع عن المساهمة فى طعنها والحط من شأنها . ولو صح استقصاؤك لما فيها من سوءات لما جاز لك أن تعلنه على هذه الصورة القبيحة المزرية التى تخفيها تحت ستار حرية الفكر ، واستقلال الرأى .. وما الى ذلك من ألفاظ لها قداستها التى خفيت عنك حدودها . وتوارت عن بصيرتك معالمها . وقداسة الحقيقة ياصاحبى لم تطلب إليك استقصاء السوءات والتغافل عن الحسنات ..

ولكن الزميل كان فى ثورة حماسة لا يملك إلا الايمان بفكرته وتسفيه مايذهب اليه خصومه ، فطال بيننا الجدال على غير جدوى .

وفى الأسبوع نفسه قدر لى أن أستمع الى مؤرخ انجليزى عالمى يحاضر فى مواقف مرت بوطنه فيلتمس له الأعذار فى « حرق جان دارك » ونفى نابليون ..!!

هذه هى الهوة التى تفصل بين منطق الكثيرين من علماء الغرب الافذاذ . وذهنية أكثر الناشئين من شباب الشرق المغبون — هوة تعيش فيها آمال عرجاء . وتحيا فى ظلامها مطامح جرباء . هناك قد « يخلقون المناسبات » ليملأوها دفاعا عن وطنهم . وذودا عن حرمته . واشادة بمفاخره .. بل ربما لا « يتورع » العالم عن أن يتخذ العلم أداة يسخرها لخدمة مآربه القوى وقضاء شهوته الوطنية ..!!

وهنا يخلق بعض « شباننا » المناسبات ليتناولوا فيها أنفسهم ووطنهم ومعاهد علمهم بالطعن والتجريح ..!!

وهذا الفرق — فيما أرى — من أعظم العناصر التى تميز بين عظمة الغرب الفتية .. وحالة الشرق المريضة

لهذا ينبغى أن يطرب المصريون لهذه الثورة القومية الوديعة التى يقوم بها شباب عيد الوطن الاقتصادى . لانها تعالج النقص الذى تنطوى عليه نفوسنا ؟

« ت . الطويل »

كلية الآداب

نشـــيد

فى عيد الوطن الاقتصادى

وطنٌ دعانا فاستجبنا ... وبكم بنى مصر أهبنا
جد النزيل وقد لعبنا ... وبكل ميدان غلبنا
وطغى الدخيل على الأصيل !

آباؤكم سادوا وشادوا ... وعن الحمى دربوا وذادوا
زرعوا وفاتكم الحصاد ! ... وونت عن الثمر البلاد !!
وجنى المُغلَّبُ والنزيل !

فى الحق صيحات الشباب : ... لا ننثنى حتى تجاب :
ولسوف نكتسح الصعاب ... إن سُد باب دق باب ؛
ولدى سوانا المستحيل

جولوا بوادى النيل جولة ... وامضوا لمصر أو المحله
فهنـاك للصناع دوله ... وهناك تُلتمس الأدله
وهناك مجدكم الأثيل ،

المـال فى يدكم أمانه ... من مصر كدستم جمانه
أنُسَرُّ إذ تبكى الكنانه ... ونظل لا نولى إعانه
ونقرُّ بالبلد الذليل ؟؟

إنا دعائم الاقتصاد ، ... ودعاة مصر الى الجهاد ،
ندعو الى العمل البلاد ، ... ما دون غايتنـا ارتداد
والى الأمام لنا السبيل !

الزقازيق — ابراهيم مأمون

نداء اللجنة التنفيـــذية

للأستاذ عبد الله فكرى أباظه
رئيس اللجنة التنفيذية

بنى وطنى !

عزم ثابت لا ونية فيه ، وحزم نافذ لا رجعة فيه لرأى بعد اقراره . ذلك حال الشباب الذى أخذ على نفسه أن يحيى للوطن عيداً يقيم فيه مهرجاناً ، يخرج منه موكب ، يجمع صناعاتنا المصرية لتستلهموا من رؤيتها العبر ، وتستوحوا شتيت الذكريات .. فبلادنا اليوم فى عسر شديد .. خرج بها اليأس عن أن يجد بنوها حتى من الدمع عزاء .. ولا من نضال الحياة جزاء .. الا أن الله القدير جعل لكل عسر يسراً . ولكل ضيق سهلا ، وخلق العزائم على قدر المصاعب ..

سينطلق فى أيام العيد الثلاثة حضرات المتطوعات والمتطوعين من ابناء مصر يحملون ماتيسر حمله من صناعة بلادهم ، يدعون إليها ويفاخرون بها . فيدلونكم بذلك على تجارة تنجيكم من عذاب أليم .. وسيوزعون عليكم دليلا احصائيا يحوى أسماء المتاجر والمصانع الوطنية ، يكون بين أيديكم هدى ومناراً ، وقد أخذت صناعة مصر وتجارتها تحبو تبتغى النهوض بعد أن طال بها الرقاد لتستعيد سيرتها الأولى

ايها المصريون :

قد اجتمع لوطنكم من الخيرات ماتستحقون من أجله الغبطة والحسد . ولكن الازمة تحيط بكم والضيق يكتنفكم والفاقة تتمشى فى بيوتكم . ولا يفوتكم أن الصناعة والتجارة فى دورها الاول يهددها البلاء ويرقبها الفناء . إن لم تجد من العون والتعضيد مايزيدها أملا على النهوض ويبعث الى روحها القوة والرجاء .

إن يوم العيد بمثابة الناقوس يعلن المخلصين ببدء الجهاد الاقتصادى ، ليقبلوا على صناعة البلاد ومنتجاتها . مستعذبين مستمرئين كل جهد وعناء .

أيها المواطنون :

إن مضمار الوطنية يوم العيد . ومن بعده سباق ، فاصبروا فى ميدان المصرية صبرا جميلا . واعملوا عملا حثيثا ، فان يوم العيد يراه القانطون بعيداً ، ويراه المؤمنون المثابرون قريبا ..

رســالة المشروع

دين المصرية

:

لسكرتير المشروع

حق أن يدعو عيد الوطن الاقتصادى الى صناعة مصر وتجارتها . فليس أسمى من دعوة تحمل فى طياتها كل ألوان الخير لبلد تتعاون عليه كل أساليب الشر : وحق أن ينشد هذا الغرض ويسعى الى هذه الغاية بأن ينظم لنا عيدا كل عام . وأن يصدر فيه دليلا بأسماء متاجرنا ومصانعنا الوطنية القمينة بتشجيعنا . الجديرة بعطفنا وإيثارنا ، وأن يقيم مهرجانا صناعيا ، تنصب فيه أسواق الصناعة المصرية ، وتسعى فيه مواكب الدعاية للصناعة المصرية ، ويفسح فيه للقومية المصرية وحق أن يدعو الشباب المتطوع من جنود الفكرة الامجاد الى أن يبدءوا بأنفسهم فى اعزاز صناعة بلادهم ؛ فيلبسوا من قطن مصر الخالص لباسا هو رداء الشرف بعينه : بدلة رمادية وأقمصة صافية الزرقة . لا تقتضى اللابس أكثر من قروش معدودات تعلن عن متانة الصناعة المصرية ورخصها ، وتفيض على صاحبها راحة فى الضمير ، وتسكب فى قلبه هدوء الاطمئنان الى أداء الواجب . حق كل هذا ولكن أى أثر يكون من وراء هذا كله ؟ أيقف الأمر عنـــد تشجيع صناعتنا والدعوة اليها ؟

رسالة عيد الوطن الاقتصادى اعمق اثرا ، وأرحب افقا ، وأوسع مجالا ، وما هذا الا مظهر لما تسعى إليه ، انها تبغى ان تبشر فى الناس بدين المصرية الكريمة ، وتحملهم على الايمان بها والاعتقاد فيها ، تبغى ان يعيش المصرى عزيزا فى مصره ، فخورا بها ، هاتفا لها فى كل لحظة وفى كل آن ، ولو تضافر عليه باطل هذا الوجود كله يريد أن يسد الفم ويقطع على الصيحة سبيل الانطلاق .. انها تبغى أن تمكن لمصر من عناصر السيادة والسلطان ، بعد أن طال بها القعود على المذلة والسكون الى الهوان ...

يريد عيد الوطن الاقتصادى ، أيها الشبان ، أن يتعجل اليوم المشرق السعيد الذى يجب ان تعيش فيه مصر للمصريين ..

على عبد العظيم
كلية الحقوق

الدعوة الى الصناعة المصرية

وسائلنا فى سبيل ترويجها

للاستاذ جلال حسين

وكيل اللجنة التنفيذية

ان أشد ما تشكو منه الصناعة المصرية فى الوقت الحاضر روح الانصراف عنها البادية من جانب أبناء الوطن نفسه ، وإذا كانت الصناعة المصرية تريد لنفسها حياة فانما تطلبها من أبناء مصر أنفسهم ، فانهم أهلها وعدتها . والواقع أن الجيل الحاضر ورث عن الجيل الماضى روح الاستخفاف بصناعة مصر ، فقد علق بالنفوس فى القرن الاخير أننا أمة لا تجيد الصناعة ، فتحولنا عن شرقيتنا ومصريتنا إلى تقليد الأوربيين ، وتعاقبت السنوات ونحن عن مصلحة مصر الاقتصادية ساهون ، وعن الايمان بنجاحها الصناعى غافلون

وقد قامت فى مصر صناعات ونمت ، ونشأت مصانع وتقدمت ثم أقيمت المعارض فثبت فعلا خطأ الفكرة القديمة وهى استحالة قيام الصناعة فى مصر . وقد أيد الواقع الملموس أن فى مصر صناعات ، وأنه يمكن أن تنشأ صناعات أخرى وتزهو وتزدهر ، ومع ذلك كله لا تزال الفكرة القديمة عالقة بالاذهان ، ولا يزال الكثيرون منصرفين عن تعضيد منتجات البلاد ، بل منهم من لا يزال يتشكك فى وجود صناعات بمصر

ولو أن كل مصرى ومصرية آمن بوجوب الاقبال على مصنوعات وطنه : ولو أنه أصر فى كل مكان على طلب منتجات بلاده ، لكان هذا الطلب المستمر مدعاة لاحياء صناعات ميتة ، وإقامة صناعات جديدة ، وتقوية مصانع لا تزال بسبب الاهمال ضعيفة

ونحن إذ ندعو للصناعة المصرية لا ندعى أننا بلغنا فيها الكمال وانما نشعر بأننا لا نزال فى أول الطريق ، وان المسير ليس سهلا ، وإن المهمة شاقة ، ولكن هذا كله هو الذى يدعو الى مضاعفة الجهود . ولا سبيل للنجاح الصناعى إذا لم نقبل على الموجودين بين أيدينا ونغضى عن عيوبه عاملين على إصلاحها حتى نصل الى المجد الذى ننشده

فاذا كان هذا هو أشد ما تشكو منه الصناعات المصرية فأول واجبنا وما نسعى اليه محاربة هذه الفكرة السيئة بكل ما أوتينا من وسائل ، وها نحن أولاء ننشر الدعوة (١) عن طريق الصحافة التى نذكر لها الفضل الأكبر فى مؤازرتنا (٢) عن طريق نشرات خاصة نوزعها فى كل مكان (٣) بواسطة الاذاعة اللاسلكية وقد وجدنا فى محطات الاذاعة المصرية عضداً كبيراً .

وكل ما ننشده أن نصل إلى أكبر عدد من أبناء مصر المتطوعين يتألف منهم جيش الوطن الاقتصادى

فنحن نبث الدعوة للتطوع فى المشروع . ولا يكلف التطوع صاحبه شيئاً ماديا قط . ولكننا نطلب اليه أن يعتنق هذه الفكرة وأن يعطينا موثقا من الله أن يؤثر منتجات البلاد بالتفضيل ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وهؤلاء المتطوعون هم الذين يدعون الى الفكرة فى كل مكان ، وكلما زاد عدد المتطوعين زدنا إيمانا برسوخ فكرتنا وثباتها ، ومن اجل هـذا نطالب كل من يفكر فى مصلحة مصر أن يمد يده الينا ، وأن يبادر بالتطوع فى المشروع ويد الله مع الجماعة

وقد سمعنا هنا وهناك سؤالا يتردد على شفاه الكثيرين : أين نجد تلك الصناعة المصرية ؟

فان المصانع المصرية لم تؤت الى الآن من الوسائل ما يساعدها على الاعلان

لذلك استقر عزمنا على أن نصدر دليلا سنويا بأسماء المتاجر والمصانع القائمة فى أرض مصر يكون هاديا ومرشدا وسيوزعه المتطوعون بأقل ما يمكن من ثمن حتى يكون فى متناول كل يد

وقد سألنا أرباب الصناعات المصرية أن يسهلوا علينا مهمتنا فيتصلوا بنا حتى يأتى الدليل وافيا بالغرض الذى نرمى اليه

فاذا ما تجمعت تلك العناصر جميعاً كان يوم العيد .

وفى العيد يقام مهرجان عظيم يدعو للصناعة المصرية يشترك فيه من تساعده ظروفه من أصحاب المصانع ، ويقوم جيش المتطوعين مرتدين رداء الشرف من القماش المصرى بتوزيع الدليل فى كل مكان

* * *

هذه وسائلنا نعلنها للبلاد مؤملين أن نسير فيها على بركة الله لخدمة هذا القطر وصناعته ، راجين أن نشق السبيل لنمصير ثروة هذه البلاد حتى تصبح مصر للمصريين .

جلال حسين

مطالعات فى التصــوف

عوارف المعــارف . معرفة النفس

(تتمـــة)

وأنت اذا أردت أن تقف لمؤلف عوارف المعارف على رأى خاص فى مسألة الروح وجدت أنه لا يستطيع أن يقطع برأى فى ذلك إذ هو يرى نفسه ازاء أقوال متناقضة ومذاهب متضاربة لا يكاد الانسان يأخذ بأحدها حتى يأتى الآخر فينسخ الأول ويزعزع رأيه فيه . ومن هنا كان مؤلفنا أميل ما يكون الى الامساك عن القطع برأى فى هذه المعضلة . عرض المؤلف بعد ماقدمت لك لمسألة الروح الانسانى وغيره من أنواع الارواح . وموجز قوله فى هذا الصدد هو أن الروح الانسانى العلوى من عالم الأمر . والروح الحيوانى البشرى من عالم الخلق . وهذا الروح البشرى هو محل الروح العلوى ومورده . وهو جسمانى لطيف حامل لقوة الحس والحركة . وانه لينبعث من القلب الذى هو عبارة عن هذه المضغة اللحمية الموجودة فى الجانب الأيسر من الجسد وينتشر فى تجاويف العروق الضوارب ، وهذا الروح موجود لدى سائر الحيوانات تفيض منه قوى الحواس ، ولورود الروح الانسانى العلوى على هذا الروح الحيوانى تجنس الروح الانسانى وباين أرواح الحيوانات الأخرى واكتسب صفة أخرى فصار نفسا محلا للنطق والالهام . ومن هنا تلاحظ أن النفس الانسانية تكونت من سكون الروح الانسانى العلوى الى الروح الحيوانى ، مثلها فى هذا السكون كمثل سكون آدم الى حواء بحيث نشأ بينهما التآلف والتعاشق .

ومسألة أخرى من تلك المسائل الفلسفية والنفسية حدثنا عنها المؤلف فى هذا الباب ، واعنى بها مسألة العقل ومركزه وآراء الناس فى هذا المركز . والناس يختلفون فى مركز العقل كما يختلفون فى غير العقل من الملكات الباطنية . فمن قائل بأن مركز العقل الدماغ . ومن قائل آخر بأنه القلب . ولعل اختلافهم هذا راجع الى عدم استقرار العقل وبقائه على نسق واحد . فهو ينجذب الى البار تارة والى العاق تارة أخرى . ورد فى اخبار داود عليه السلام أنه سأل ابنه سليمان : أى موضع للعقل منك ؟ قال : القلب لأنه قالب الروح . والروح قالب الحياة . وقال أبو سعيد القرشى : الروح روحان : روح الحياة ، وروح الممات . فاذا اجتمعا عقل الجسم . وروح الممات هى التى اذا خرجت من الجسد صار الحى ميتا . وروح الحياة هى ما به مجارى الانفاس وقوة الاكل والشرب وغيرها . وقال بعضهم : « الروح نسيم طيب يكون به الحياة . والنفس ريح حارة تكون منها الحركات المذمومة والشهوات » .

ويعمد المؤلف بعد هذا كله الى الموازنة بين الروح والنفس بحيث يبين لنا من خلال بعض الاقوال ، الاخلاق والصفات التى تصدر عن كل من الروح والنفس . فقد قيل أن النفس لطيفة مودعة فى القلب ، منها الاخلاق والصفات المذمومة . على حين أن الروح لطيفة مودعة فى القلب منها الاخلاق والصفات المحمودة . ومثل النفس والروح فيما يصدر عن الاولى من أخلاق وصفات مذمومة وما يصدر عن الثانية من اخلاق وصفات محمودة كمثل الحواس فى أن العين مثلا للبصر والاذن للسمع . . . الخ . وترجع اخلاق النفس وصفاتها جميعا الى أصلين . أحدهما الطيش والآخر الشره . وقد نشأ طيش النفس من جهلها ونشأ شرهها من حرصها . ومثل النفس فى طيشها كمثل كرة مستديرة على مكان أملس لا تكاد تستقر أو تثبت ولكنها على العكس دائمة الاضطراب والحركة . ومثلها فى شرهها كمثل الفراش الذى يساور المصباح فــلا يقنع منه بالضوء اليسير ولكنه يلقى بنفسه عليه ليغمره ضوء هذا المصباح حيث يلقى حتفه . ومن الطيش نشأت العجلة وقلة الصبر . ومن الشره نشأ الحرص والطمع وهما هذان الخلقان اللذان ظهرا فى آدم حين طمع فى الخلود فحرص على أكل الشجرة . وأنت اذا انعمت النظر فيما يذكر مؤلف عوارف المعارف عن الشره واتخاذه أصلا من الأصلين اللذين تصدر عنهما أخلاق النفس رأيت أن فى كلامه تناقضاً . وبعبارة اخرى دورا كما يقول المناطقة . فهو يقول أن شره النفس ناشىء من حرصها ثم يعود بعد هذا فيقول أن الحرص والطمع خلقان ينشآن عن الشره . واذن فالشره فى بادىء الأمر نتيجة للحرص ، ثم هو فى آخره مبدأ له . وعلى هذا يكون الدور ظاهر . ومهما يكن من شىء فان النفس على كل حال مصدر للاخلاق المذمومة . فمن عرف أصولها وطبيعتها ، وتبين أخلاقها وجبلتها ، عرف أن لا قدرة له على كبح جماحها ومغالبة اهوائها وشهواتها الا بالاستعانة فى ذلك كله بباريها وفاطرها

ولا يتحقق العبد بالانسانية ، الا اذا دبر فى نفسه دواعى الحيوانية وذلك بالعلم والعدل وبمراعاة طرفى الافراط والتفريط ، فبهذا تقوى انسانيته وتنقى نفسيته ويدرك من نفسه صفات الاخلاق المذمومة بحيث ينتهى الى كمال انسانيته .

تعال ولننمض الآن الى أوصاف النفس . فقد ذكر مؤلفنا ان الله وصف النفس فى كتابه العزيز بأوصاف ثلاثة : فوصفها بأنها مطمئنة فقال : « يا أيها النفس المطمئنة » وبأنها لوامة فقال : « لا أقسم بيوم

القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » . وأخيرا بأنها أمارة بالسوء فقال : « إن النفس لأمارة بالسوء » وهذه النفس التى وصفت بأوصاف متباينة واحدة . فاذا امتلأ القلب سكينة ألبس النفس ثوب الطمأنينة لأن السكينة تزيد فى الايمان . وفى هذه الطمأنينة يرقى القلب الى محل الروح لما منح من حظ اليقين . وحين يتجه القلب الى محل الروح تتجه النفس الى محل القلب . وهى فى هذا تصيب من الطمأنينة حظاً . وإذن فانت ترى أن النفس والروح يتطاردان بحيث يملك القلب دواعى النفس تارة ، ودواعى الروح تارة أخرى ' كما ترى أيضا ان الملكات الباطنية عند الصوفية هى الروح والقلب والنفس . وانهم ليضيفون اليها ملكة رابعة اختلفوا فى شأنها كما اختلفوا فى غيرها . هذه الملكة هى « السر » . ويذكر مؤلف عوارف المعارف شيئا عن هذا الاختلاف فى أمر السر فيقول ان من الصوفية من جعله بعد القلب وقبل الروح . ومنهم من جعله بعد الروح وأعلى منها والطف . ولقد قالوا ان السر محل المشاهدة ، والروح محل المحبة ، والقلب محل المعرفة . ولا بد من أن نلاحظ أن السر لم يرد ذكره فى القرآن ، وإنما ورد ذكر الروح والنفس والقلب والفؤاد والعقل . ويرى مؤلف عوارف المعارف انه لما لم يذكر هذا السر فى القرآن ، ولما اختلف الصوفية فيه هذا الاختلاف فهو لاوجود له وجودا مستقلا فى ذاته بحيث يكون ملكة خاصة كالروح أو النفس . وإنما هو وصف زائد تكتسبه الروح حينا ، والقلب حينا آخر عند ما يتطلع كل منهما الى مواطن القرب . وإذن فليس السر شيئا آخر غير الروح ، مكتسبة وصفا زائدا على أوصافها ، أو غير قلب مكتسب وصفا زائدا على أوصافه .

ولا بد من أن نذكر شيئا عن العقل . فهو كما يقول مؤلفنا — لسان الروح وترجمان البصيرة ، والبصيرة للروح بمثابة القلب ، والعقل بمثابة اللسان . ولقد شرف الله تعالى العقل فى حديث قدسى خاطبه فيه بقوله : « ... وعزتى وجلالى ، وعظمتى وكبريائى ، وسلطانى وجبروتى . ماخلقت خلقا أحب الى منك ولا أكرم على منك . بك أعرف وبك أحمد وبك أطاع وبك أغنى وبك آخذ واياك أعاتب ولك الثواب وعليك العقاب . وما أكرمتك بشىء أفضل من الصبر . » واختلف الناس فى ماهية العقل . ففريق يرى أنه من العلوم . فمن خلا من جميع العلوم لا يوصف بالعقل . وليس العقل كل العلوم إذ أن الخالى من أغلبها متصف بالعقل ، وليس العقل من العلوم النظرية . فمن شرط ابتداء النظر تقدم كمال العقل . واذن فهو من العلوم الضرورية وليس جميعها . فصاحب الحواس المختلطة عاقل على الرغم من أنه فقد بعض مدارك العلوم الضرورية . وفريق آخر يذهب الى أن العقل صفة يتهيأ بها درك العلوم كما قال المحاسبى انه غريزة يتهيأ بها درك هذه العلوم . ويقول بعضهم ان العقل عقلان : عقل للهداية مسكنه القلب وهو للمؤمنين الموقنين . وعقل مركزه الدماغ : يدبر الأول أمر الآخرة ويدبر الثانى أمر الدنيا ، ولكنه على كل حال عقل واحد .

تلك خلاصة هذا الباب الخصب من كتاب عوارف المعارف واست أشك فى أنك توافقنى على ماامتاز به من البحث الدقيق والفكر العميق والجمع بين التصوف وما وراء الطبيعة وعلم النفس جمعا يظهرك على مابين هذه العلوم من صلة وثيقة تكفى لأن تبين لك ماللتصوف من مكانة فلسفية وقيمة نفسية بين العلوم التى أنتجها الفكر الاسلامى ؟

محمد مصطفى حلمى

ماجستير فى الآداب

نداء الى أدباء العرب

الاحتفال بمرور ألف عام

على وفاة شاعر العربية الأكبر

أبى الطيب احمد المتنبى

قتل أبو الطيب المتنبى فى رمضان سنة ٣٥٤ للهجرة وفى رمضان سنة ١٣٥٤ اى بعد سنتين وشهرين يمر ألف عام على وفاة شاعرنا العظيم

إن مرور عشرة قرون على وفاة أديب كبير لحادث ذو شأن فى تاريخ الأدب . وانى أناشد الأدباء فى البلدان العربية أن يفكروا فى اقامة مهرجان عظيم تشترك فيه وفود تمثل الاقطار العربية الشقيقة احتفالا بذكرى شاعرنا الخالد .

وانى أرجو أن يترك أمر تأليف لجنة الاحتفال للمجمع العلمى العربى فى دمشق أو للمجمع العربى الذى أنشأه جلالة فؤاد الاول ملك مصر أو لهيئة جديدة تمثل فيها جميع الاقطار العربية .

بيروت

فلســـــفة ليبنتز

Gottfried Wilhelm Leibniz

١٦٤٦ — ١٧١٦

للأستاذ زكي نجيب محمود

١ — نظرية ذرات القوة   ٢ — التآلف الازلى
٣ — نظرية المعرفة   ٤ — الله والعالم

(تتمـــة)

٢ ـ التآلف الازلى Pre-established Harmony

ولكن إذا كانت هذه الذرات القوية التى يتألف منها الكون بأسره عبارة عن عوالم صغيرة مستقلة، لا يؤثر بعضها فى بعض، فماذا عسى أن تكون الرابطة بينها؟ وبماذا نعلل هذا النظام الدقيق الذى يشتمل الوجود؟ يجيب ليبنتز على ذلك بأنه قانون التآلف الأزلى. فقد ركبت تلك الذرات بادىء ذى بدء بحيث تسير الواحدة موازية للاخرى، وعلى الرغم من تفرقها وانفصالها، فهى تعمل جميعاً فى توافق دقيق، حتى لتبدو كأن بعضها يعتمد على بعض. أليست تسير طوع ارادة إلهية عليا؟ إذن فهى تسير فى نظام واتساق لا تناقض فيهما ولا اضطراب. يقول ليبنتز: «إن هذا التوفيق بين استقلال الذرات واتساقها فى نظام واحد أشبه شىء بجوقة من رجال الموسيقى، كل يقوم بدوره مستقلا، وقد أجلسوا بحيث لا يرى بعضهم بعضا بل ولا يسمعه، ومع ذلك فهم يسيرون فى تناغم مستقيم، ما دام كل منهم يعزف وفق المذكرة الموسيقية، فاذا ما سمعهم مستمع فى وقت واحد، لحظ فى عزفهم تآلفا عجيبا»

وبهذه النظرية نفسها قد عالج ليبنتز العلاقة بين العقل والمادة، أى بين الروح والجسد، فالروح يتبع قوانينه الخاصة والجسد كذلك يتبع ماله من قوانين دون أن يؤثر واحد فى سير الآخر، فهما يتلاقيان فى تناسق بلغ من الدقة حدا بعيدا يستحيل معه الخطأ، فكل خلجة عقلية يجاوبها وضع من الجسد كما لو كانت العلاقة بينهما علاقة العلة بالمعلول. ولا يمكن تعليل هذا الاتفاق المستمر بين العقل والجسم الا باحدى ثلاث، يسوقها ليبنتز تشبيهه المشهور: فهما كساعتين تسيران معا فى دقة تامة، ولا يكون ذلك إلا: (١) أن يكون للساعتين آلة واحدة تديرهما معا فى آن واحد (٢) أو يكون ثمة شخص يعادل بينهما من آن الى آن بحيث يوفق بين زمنيهما، (٣) أو قد تكون الساعتان صنعتا فى دقة تامة يستحيل معها الخطأ.

فأما الغرض الأول فمردود لأن العقل والجسم لا يؤثر فيهما مؤثر بعينه فى وقت واحد. وأما الغرض الثانى فمردود كذلك لأنه يفرض تدخلا مستمرا فى علاقة العقل والجسم. وأما ثالث الفروض فهو ما يراه ليبنتز جديرا بعظمة الخالق وكامل قدرته، أى أن كل شطر يسير فى طريقه الخاصة. فلا يكون بين الشطرين اختلال أو اضطراب، وهذا التآلف موجود منذ الأزل، وهو ما يسميه بنظرية التآلف الأزلى

ولكن إذا كانت كل ذرة مغلقة فى حدودها الخاصة، لا تستطيع أن تطل على العالم الخارجى كما يستحيل أن ينفذ إلى داخلها شىء من العالم الخارجى، فكيف نعلل ادراكنا لله، بل ادراكنا لكل ما يحيط بنا من أشياء؟ أليس الادراك ضربا من ضروب الاتصال أو هو كل الاتصال؟ كيف يستطيع كائن أن يصل إلى معرفة الله والعالم اذا لم يكن فى مقدوره أن يحطم حدود فرديته؟ هذا تناقض ولا ريب، وأغلب الظن أن ليبنتز قد لحظه عند حديثه عن علاقة الانسان بالله جل وعلا، فأنقذ الموقف بأن زعم أن الروح الانسانى لا يقف عند حد تصوير الكون وتمثيله فى شخصه، كما هى الحال مع سائر الكائنات، ولكن له فوق ذلك مقدرة على إدراك الله وتقليده، ثم معرفة أجزاء العالم عن طريقه، لأنه يعتقد أن الله جل شأنه هو الذرة السامية الكاملة وهى أساس الذرات جميعاً، منها تنبثق، كما ترسل الشمس ضوءها، فاذا ما أرادت ذرة أن تتصل بأخرى، كان لزاما عليها أن تتصل أولا بذلك الاساس أو قل (السنترال) لأنه بمثابة المركز الذى تتفرع عنه الطرق جميعا

٣ ـ نظرية المعرفة

من أين جاءت الى الانسان هذه المعلومات التى تملأ شعاب ذهنه؟ أما (لوك) فرأيه فى ذلك معروف. وهو أن كل معلوماتنا انما جاءت عن طريق الحواس فأثرت فى صفحة الذهن التى برزت الى هذا العالم نقية بيضاء لا تشوبها شائبة، وأما (ديكارت) فيزعم أن الطفل يولد مزودا ببعض الآراء الفطرية التى لا يمكن أن يحصلها بالتجربة، طرفان متناقضان من الرأى، كتب لهما أن ينتهيا الى ليبنتز الذى لا يعجز عن جمع المتناقضات فى وحدة متسعة! ألم يوفق بين مذهبى الفردية والكونية، وأخرج منهما فلسفة الذرات القوية؟ وها هو ذا كما عهدناه يوفق بين لوك وديكارت فى نظرية تحصيل المعرفة! فهو من ناحية ينكر على لوك رأيه فى انعدام الآراء

الفطرية . ويرى هو أن للعقل اساسا من المعلومات يستحيل أن يحصل بدونه شيئا ، فيولد وهو يحمل بين طياته معرفة كامنة بالقوة ولا تصل إلى درجة الشعور الا اذا ايقظتها التجارب التى تنفذ إليها عن طريق الحواس ، فليس من شك فى أن الطفل يولد مزود ا بميل الى استطلاع الحقيقة قبل أن يصادف من حياته تجربة ما ، ويكفى أن يكون لديه تلك القوة العقلية وحدها ليجوز لنا القول بأن له معرفة فطرية ، واذن فيجب أن نكمل نظرية لوك التى يلخصها فى هذه العبارة . « ليس ثمة فى العقل من أثر الا ماتبعثه الحواس » بأن نضيف اليها هذا التعديل : « اللهم الا العقل نفسه » !!

كذلك ينقض ليبنتز رأى ديكارت فى الآراء الفطرية ، فلا يذهب معه فى أن المعرفة التى تولد مع الطفل تكون عند الولادة محددة واضحة ، إنما يعتقد ليبنتز ان تلك المعرفة تكون بادىء الامر سابحة فى اللاشعور ، وتظل غامضة مهوشة حتى تدركها التجربة فتوقظها من مكامنها وتزيل مايغشاها من غموض بما تنشره على معالمها من ضوء ، فحياة العقل عبارة عن تقدم مطرد مستمر من أدراك مهوش مضطرب الى أدراك دقيق محدود . شأنه فى ذلك شأن كل ذرة فى الكون ، حياتها انتقال من الغموض الى الوضوح فى الادراك

من ذلك نرى أنه وافق ديكارت على وجود الآراء الفطرية ، بل لم يرضه أن يقف عند الحد الذى وقف عنده ديكارت . من أن بعض الآراء فقط تولد مع الطفل وبعضها الآخر تحصله الحواس فادعى هو أنها جميعا تولد فطرية ولا يستحدث منها فى الحياة شىء كما وافق لوك على أن التجارب التى تنفذ الى العقل عن طرق الحواس لها كل الأثر فى تكوين المعرفة ، والفرق بينهما إن ليبنتز لا يرى أن هذه المعرفة قد استحدثت بل انتقلت من وجود بالقوة الى وجود بالفعل ، أو قل انتقلت من حالة الخمود الى اليقظة والنشاط ، وهكذا استطاع ليبنتز أن يقرب وجهتى النظر الى حد الاندماج

٤ ـ الله والعالم

كان ليبنتز مؤمنا شديد الايمان ، يصدر عن عقيدة سليمة ودين قويم ، فهو يرى لزاما عليه أن يرد بالحجة ما تطلق به بعض الألسنة من اتهام العالم بالشر والنقص ، وأن يثبت للناس أن هذه الدنيا التى نعيش فيها هى أكمل ما يستطاع خلقه من الدنى . أليس الله جل شأنه علة وجود الأشياء جميعا ؟ اذن فلابد أن يكون قويا الى أبعد حدود القوة ، كاملا الى أقصى مراتب الكمال ، حكيما الى أعمق أغوار الحكمة ، خيرا الى أوسع آماد الخير . صور لنفسك هذه الحكمة المطلقة قد تآزرت مع ذلك الخير الأسمى فى خلق العالم ، ثم حدثنى كيف يكون ؟ أليس من الطبيعى المحقق أن يجىء على أحسن ما تجىء العوالم ؟ هذا حق لا ريب فيه ، لأن الله تعالى يصدر عن منطق مستقيم يتفق مع ماله من كمال . ولا يسع ذلك المنطق الكامل الا أن ينتج عالما اقرب ما يكون الى الكمال « لأنه اذا أخرج عالما دون ما يستطاع اخراجه ، كان فى عمله ما يمكن تهذيبه واصلاحه »

هذا الايمان العميق لم يصادف من فولتير الا سخرية مرة ! فيرد على ليبنتز بقوله إن تجربته فى الحياة علمته أن هذا العالم ـ على نقيض ما وصف ـ أسوأ ما يمكن خلقه من العوالم . ولو كان فيه ذرة من كمال لامحى من وجهه هذا البؤس الذى يزهق الوف الألوف من النفوس الكسيرة . وقد هاج هذا القول من فولتير شابا مؤمنا الى درجة الحماسة فتصدى لمهاجمه فى الصحف هجوما عنيفا . فلم يكن من الساخر العظيم الا أن رد عليه فى رفق هادىء بقوله : « يسرنى أن أعلم أنك أصدرت رسالة تهاجمنى فيها . فقد أوليتنى بذلك شرفا عظيما . ولكن ألا تستطيع ياسيدى أن تحدثنى عما يدفع آلاف البشر لجز حلوقهم فى هذا العالم الذى تصفونه بأنه خير ما يستطاع خلقه . وانى لك من الشاكرين »

كذلك تصدى هجل لنقد ليبنتز فى رأيه هذا عن العالم ، واحتج بأنه قد تركه قضية بغير تدليل . فلنسلم معه جدلا بأن هذه الدنيا خير ما يمكن خلقه . أفيكون هذا دليلا على خيرها وصلاحها ؟ اذا أنت أرسلت خادمك الى السوق ليبتاع لك شيئا ! فجاءك به الخادم سيئا كريها ثم أقنعك أنه خير ما يباع فى السوق . أفتحكم على هذا الشىء بالجودة لأنه كذلك ؟ كلا ولاريب ـ فلا يمنع سوءه وشره ألا يكون هناك أحسن منه ، كذلك قل فى العالم . قل ما شئت من أنه خير ما يمكن وجوده . ولكن هذا لا يبرئه من النقص والشر

وكأنما ليبنتز قد لحظ هذا الضعف فيما يقول فاعترف أن فى العالم شرا كثيرا ، ولكنه لا يرى ذلك مناقضا لنظريته ، بل يتخذ هذا الشر نفسه دليلا على صحتها . فلولا ما تحوى الحياة من بؤس وألم . لما كانت الدنيا خير ما يستطاع خلقه ، لأنهما كثيرا ما يكونان سبيلا الى الخير وسببا فى جوده ! « المرارة القليلة كثيرا ما تكون ألذ مذاقا من السكر الحلو ! » . ثم يسير ليبنتز بعد ذلك فى البحث عن أصل الشر فى العالم . فيقرر أن علة وجوده هى هذا الجانب المادى . فقد ذكرنا فيما سبق أن لكل ذرة فى الوجود جانبا فعالا ، والى جواره جانب

درس الجيولوجيا

بقلم حسين شوقى

هى أيضا ذكرى من ذكريات الصبى والدراسة ، وقعت حوادثها ببرشلونة . عندما دخلت المدرسة الأسبانية ، وحضرت درس الجيولوجيا للمرة الاولى ، رأيت المدرس قبل البدء فى الدرس ، يقترح رحلة جبلية فى يوم الأحد المقبل ، ولكنى لحظت فى استغراب ودهشة ان الطلبة يتهربون منها ، لذلك أخذ المدرس يختار لهذه الرحلة من يختار دون رضا ولا موافقة ، فقلت للطالب الذى يجلس عن يمينى ، وهو فتى اسبانى من الجنوب (الأندلس) ، تدل سمرة جلده على أصله العربى ؛ لماذا يرفضون وانما يذهبون الى النزهة وتسلق الجبال الشاهقة ؟ . فأجابنى فى ابتسامة خبيثة : أتريد أن تذهب أنت ؟ فأجبته على الفور : أجل ! ولم لا ؟ فرفع زميلى أصبعه مستأذناً فى الكلام ، فلما سمح له المدرس به أطلعه على رغبتى ، فنظر الى المدرس نظرة الرضا والارتياح وقال: حسن ! حسن جداً ! ثم سألنى فى لطف عن اسمى لانى كنت طالبا جديدا فأثبته فى القائمة ، ثم استفهم عن جنسيتى التى استغربها لانى الشرقى الوحيد فى المدرسة . .

وعند ماعرف الطلبة انى اريد المشاركة فى رحلة يوم الأحد عن رضا وطواعية ، أخذوا يتغامزون وينظر بعضهم الى بعض ، فاضطربت لذلك ولم أعرف سبب هذا التغامز واأسفاه الا أخيرا .

وفى يوم الأحد كنت فى المكان المعين للمقابلة ، قبل الموعد بزمان طويل ، لانى كنت مشتاقا الى هذه الرحلة الجبلية مع رفاقى الطلبة على رغم ماكان يحيط بها من الأسرار . ثم حضر المدرس وتبعه الطلبة واحدا بعد آخر . . وكنا جميعا عشرة ، فركبنا الترام فخرج بنا فى أقل من ساعة الى ظاهر المدينة . . وكنا أثناء سير الترام وفى غفلة من الاستاذ ، نخرج ألسنتنا للمارين ، فيمطروننا وابلا من اللعنات والشتائم .

ثم أخذنا نتسلق الجبال وبعد جهد جاهد بلغنا أعلى القمة فى تلك المنطقة المعروفة بسانتا كروث (الصليب المقدس) وقد قام فيها صليب كبير من الخشب ، بركة لعابرى السبيل . عند ذلك شاهدنا منظرا للمدينة يملك الطرف ويصبى المشاعر ، والبحر الابيض يموج فى جلبابه الأزرق الفضفاض ، والجو يعبق برائحة عطرية كأنها تسربت من الفردوس . أما السحاب فكان قريبا منا الى حد أننى كنت أخشى أن جنّيا يبدو منه فجأة فيختطف أحدنا على سبيل المزاح ! واذا كان سرورى عظيما بجمال الطبيعة فى تلك الساعة ، فان فرحى كان أعظم بالفَراش الأصفر الكبير الذى شاهدته يتنقل فى الخضرة والحشائش من غصن الى غصن ، وكأنه فى حسنه زهور (البانسيه) ، لأنى كنت كرفاقى مولعا باقتناء الفراش وحفظه بالمنزل فى علب خاصة غطاؤها من الزجاج . . ولكن ظهر انى كنت واهما حين ظننتنى سأصطاد ماشاء من هذا الفراش ، لانى حضرت الى درس جيولوجيا فى هذا المكان لا الى اللهو والتسلية ! وكان ذلك سبب ضحك الطلبة فى الفصل حينما تقدمت من ذات نفسى للاشتراك فى تلك الرحلة ! اذ أمرنا المدرس بالتقاط مايصادفنا

سلبى منفعل - هو الجانب المادى منها - وبقدر ما ترجح كفة الجانب الفعال كانت الذرة أدنى الى الكمال ، ولذلك ترى كل ذرة لا تفتأ تسعى جهدها لكى تتغلب على جانبها المادى السلبى الذى يقعد بها عن السمو فى سبيل الكمال . والانسان — ككل شىء آخر — لا يدخر وسعا فى هذا الجهاد العنيف الشاق . وهذا الجهاد نفسه - الذى لامناص منه بحكم طبيعة التكوين الذرى — هو أصل الشر وسبب البلاء . فالشر إذن نقص نشأ عن محاولة التخلص من قيود المادة ، فكأنه لم يوجد إلا ليكون سلما للصعود نحو الكمال الاسمى . وعلى هذا الاعتبار يكون الشر وسيلة للخير ! ! أضف إلى ذلك أن وجود الشر إلى جانب الخير ، مما يعمل على جمال الحياة ، التى كانت تقل عما هى الآن كمالا وجمالا لو أنها لا تحوى إلا خيرا محضاً . ومن ذا الذى يتمنى حياة لا ألم فيها ، تجىء على صورة واحدة لا اختلاف فيها؟! ثم يذكر ليبنتز أن الخير هو الجانب الايجابى من الحياة ، والشر هو الجانب السلبى منها ، ولما كان الله تعالى لم يخلق — بداهة — الا الجانب الايجابى ، فلا يمكن أن يعد سببا فى وجود الناحية السلبية . ولا يمكن أن يكون الله خالقا لما نرى فى الحياة من شرور وآلام .

زكى نجيب محمود

مِنْ طرائفِ الشِّعْر

طاقــــة الزهر

طريفة أخرى فى الوصف
للعالم الشاعر الأستاذ أحمد الزين

أهدت إلى النفس ريّا نشرها العبِق
والطيبُ فى الزهر يوحى طيبَ الخُلُق
رقت رسائلها للكون فاتخذت
من النسيم بريداً شاع فى الأفق
وما رأيت بريدا خف محمـــله
مثلَ النسيم حكَى المعنى بلا ورق
أنباؤه كحديث الحبِّ عاطرةٌ

فى الطريق من الحجارة الغريبة وعرضه عليه .. وكان اذا راقه حجر أخرج منظاره ففحصه فى شــغف كأنه « الحجر القيم (٢) » .. ثم أمرنا بحفظه معنا . لهذا أحضر رفاقى أكياسا من الجلد . . أما انا فكنت أضع الحجر فى جيبى لانى لم أحضر كيسا ، ولما بلغت المدينة كانت جيوبى ممزقة شر تمزيق ! وكان استاذنا اذا أطلعناه على حجر أخذ يشرح لنا أصله شرحا طويلا ويذكر مما كان بالحجر من معادن كالحديد والفحم والخشب المحجر .

أما نحن فكنا نوافق على كلامه من غير سؤال ولامناقشة لعله ينتهى بسرعة من شرحه الممل ! ولما رجعنا فى المساء الى برشلونه ، كنا نمشى متطرحين من الاعياء ، وفى درس الجيولوجيا التالى حينما أخذ المدرس يجمع أعضاء الرحلة المقبلة كعادته قبل السير فى الدرس ، خاطبنى قائلا : شوقى بطبيعة الحال يصاحبنا فى هذه الرحلة ؟ فقمت على الفور من مقعدى وأجبته فى انفعال : شوقى مريض لا يذهب ! فامتعض وتأثر ولكنه أراد أن يصرف النظر عن هذا الرد الجاف ليستر على الأقل خجله ، ولكن الطلبة ضحكوا ضحكا عالياً من اجابتى ، فاشتد حينئذ غضبه على وعاقبنى بالحبس ساعة !

(٢) Regent جوهرة ثمينة تقدر بملايين من الفرنكات ، من جواهر تاج فرنسا .

أو ذكرياتِ شبابٍ ناعمٍ أنِق
ظلّت تنسقها كفٌّ منعمة
تكاد تحسبها من ذلك النسق
تداعب الزهرَ فى رفق أناملُها
كالنوم داعب جفنَ الساهر الأرق
كلاهما بالهوى يرنو لصاحبه
فاعجب لمختلفٍ بالحبِّ متفق
نحنو عليه فتنسيه منابتَهُ
فى الروض يندى بمنهلّ الحيا الغدِق
كلاهما زهرٌ فى كفِّ صاحبه
فانعم بزهرين ملثومٍ ومنتسق
هــذا يعيد بريّا نفحه رمقاً
وذاك بالوجد لا يُبقى على رمق
هذا على الصدر يسبى العينَ منظرُه
وذاك فى القلب يذكى لاعج الحُرَق
كم صوّر الزهرُ من معنى يجيش به
قلب الشجىِّ ويعيى فطنة اللبق
وكم له فى الهوى نُعْمَى تقلّدَها
صَرْعَى الغرام مكانَ الطوق فى العنق
وكم يحمّله العشاق لوعتهم
صوناً لمكنونها عن طائش نزق
كم حمّلوه إلى أحبابهم قُبُلًا
يا طيبَ مصطبح منها ومغتبق
واستودعوه حديثاً من صبابتهم
فصان سر الهوى عن سمع مسترق
وكم روى دمعةً عن عين والهة
وكم حوى زفرةً عن قلب محترق
وكم على صفحاتِ الزهر من كتُبٍ
فى الشوق يعيا بها ذو المنطق الذلِق
كم زهرة وصلت فى الحب منقطعاً
وجدّدت فى حبال الود من خلَقِ
وللأزاهير لطف فى سفارتها
كم ألّفتْ فى هواها كلَّ مفترق

....

ذكرى العام

الحولُ يا أماهُ بعدكِ حالا ... والقلبُ فى تحنانهِ ما زالا
والنفسُ فى أسف عليك وحسرةٍ ... تطوى بها الأيام والأحوالا
والفكرُ نهبٌ للتذكُّر كلما ... بعثَ الشجونَ وأطلق البلبالا
والوُدُّ لم أرَ فيه بعد فراقنا ... صفوًا كوُدِّكِ سائغاً سلسالا
وَجدٌ عليكِ مُساورٌ لم يمحُهُ ... نظمى المدامع فيك والأقوالا
لا كان يوم قد طوى لك طيّة ... صرفُ الحِمام عن الحياة زيالا
لله أيةُ نعمةٍ وَلّى بها ... عنى وأىَّ كريم ذخر غالا
ما كان غير صميم وُدِّك من هوًى ... أخشى عليه الموتَ إن هو صالا
فرحلتِ عن دار الفناء حثيثةً ... وامتدَّ عمرُ من اجتويتِ وطالا
ونقضتِ كفكِ من ضئيلِ حُطامها
وطرحتِ ذاكَ الهمَّ والأشغالا
تجرى مقادير وأحوال وما ... تعنيكِ فى تردادها مثقالا
عبرَتْ مواقيت الصلاة فلم تجدْ ... سعياً لها صبحاً ولا آصالا
ولكم نهضت لها الدجى قوامة ... تبغين رضوان الاله تعالى
ومضى الصيام فلم تحيِّ وجهه ... سمحاً ولم تستقبليه هلالا
ولكم سعيتِ له وكنتِ حفيةً ... بأبى الشهورِ مهابة وجلالا
وغفوتِ عن حالى فلم يكرثكِ أنْ
أمسيتُ أبدلُ بعد حال حالا
أوعلَّ للا رواح بعدَ فراقها ... قربى وإن شطّ المدى ووصالا
فتغبُّنى الروحُ الطهورُ وتنثنى ... تضفى علىّ حنانها هطّالا
وتظل ترعانى كسالف عهدها ... أشقيت بالا أم حسنت مآلا
منى إليها ما حييت تحية ... تترى إلى يوم اللقا وتوالى

فخرى أبو السعود

إعلان من الادارة

الاشتراك من الآن يكون على النظام الجديد، ولا يجاب طلبه الا مصحوبا بالقيمة . أما المشتركون القدماء فسنستمر على ارسال المجلة اليهم حتى آخر السنة الاولى

(جاردن ستى[1]) والريف

لمن مقاصير خلف الجسر ضاحكة
يشرقن فى العين اشراق الضحى الحالى
تلهو الهناءة نشوى فى مسارحها
ويمرح الأنس فيها هادىء البال
ألقى النعيم العصا فى ظل سرحتها
وراح يرسل فيها ذيل مختال
ملاعب لبنى الدينار ناضرة
خضراء تنضح آمالا لآمال
فلو رآهن كسرى الفرس لاقتحمت
عيناه إيوانه فى عصره الخالى
تحبو لدات الدرارى فوق عاتقها
وتطلع الشمس من عرنينها العالى
زهراء رفت رياحين الحياة بها
بيضاء دون سناها ومضة الآل
ترنو عيون الأمانى فى مشارفها
ويبسم العيش فى بشر وإقبال
إن كانت الخلد تحكيها فوا لهفى
قد قصّرت عن منال الخلد أعمالى

***

ياأخضر العيش ما للريف تهجره
كأن قلبك عن انصافه سال؟!
تركته تستبد الحادثات به
ويستطيل الأسى فى عوده الحالى
كم بالقرى من قلوب سلن من شجن
قد أوغل اليأس فيها أى ايغال
كم بالقرى من جفون غاض مدمعها
من طول ما نزفت من دمعها الغالى
مشى نذير الضنى فى سندس خضل
وشوهت صفحتها أزمة المال

(١) جاردن ستى: حى من أحياء الأغنياء بالقاهرة على ضفة النيل الشرقية

فما الصباح إذا يبدو بمتسق
ولا الغـــدير إذا تلقى بسيال
ولا الهزار صـــدوح فى خمائلها
يشدو لدى الماء فى خفض وارسال
ضاف من البؤس روَّاها فأترعها
فغيَّر القوم من حال إلى حال
لا تشهـــد العين من أبنائها أحداً
إلا خدين همـوم ثوبه بال
يمضى النهار وحر الشمس يلفحه
رطب الجبين دءوباً غير مكسال
وحوله مثـــل أفراخ القطا زغباً
باتوا ألى الفجر فى سُهد وإعوال
الله يعـــلم لم أكفر بحكمته
لكنها خطرات هجن بلبالى
هذا يهاب الصَّــبا تدمى أنامله
وذاك يعسف فى فقر وإذلال

على شرف الدين

الصـــدى الساحر

للاستاذ محمود الخفيف

فى سكون العشاء سرت وحيداً أملأ الصدر من نسيم المساء
أرقب البدر فى السماء فريداً ضاحك الوجه مستفيض الرواء

زار سمعى مع النسيم غنـــاء يصرف السمع عن أرق الأغانى
عاصف تارة وطوراً رخاء يتلاشى رنينه فى ثوان

كروان سمعتـــه يتغنى رائق الصوت ساحر النغمات
نائح صـــادح طروب معنى اين من سحره دقيق الصفات؟

نازع هابط بعيـــد قريب مطلق النفس فى جمال الوجود
عبقرى كأنه مستجيب لصدى السحر من جلال الخلود

ليت شعرى أصارخ أم طروب فسر القول يا خفى المعانى
آدمى؟ فتعتريك خطوب وتعانى من الضنى ما أعانى؟

أترى أنت ســـاخر مستهين بحياة يسود فيهـــا الفساد؟
يملأ الأرض من بنيها أنين وخصام وفتنة وعنـــاد

يا رفيق الغناء صوتك عـذب جل فى الحسن عن غناء الطيور
بارع اللحن رائق مستحب يبعث السحر فى قرار الشعور

أيها الســـاحر المحلق رفقاً بفؤادى فقد ملكت فؤادى
لست أدرى أطائر أنت حقاً أم وسيط من السماء ينادى

نازعتنى بشاشة وقطوب مذ ترنمت يا بديع الخيال
من رآنى يظن أنى طروب وفؤادى من الجوى غير خال

مذ ترنمت عاودتنى شجونى وذكرت القديم من أحلامى
قد تفردت بالهناءة دونى وبرى الشوق والهيام عظامى

أنت لا تعرف الجفاء وقلبى شفه الهجر والجفا والعناء
أنت لا تعرف الشقاء وحسبى من شقاء الحياة هذا الجفاء

أنت يا ابن السماء حر طليق لم تجرع لدى الحياة هوانا
أنت بالبشر والهناء خليق كيف تبكى أأنت تخشى الزمانا؟

أيها الصادح المغرد زدنى من أغانيك واتخذنى خليلا
ليتنى كنت طائراً فأغنى وأصوغ القريض لحناً جميلا!

وخز الضـــمير

هى ذكرى كلما مرت على
خاطرى أنشقُّ عن دمع غزير
إيه يا ذكرى ابعدى عنى، اعزبى
اخمدى بين ضـلوعى، لا تثورى
حال عيش كان قبـلا سكرا
بك ياذكرى الى عيش مرير
آه كم أزفر كلما أشــتفى
منك، لكن ليس يشفينى زفيرى
أترى تمحو إلهى عــثرة
تركتنى فى عذاب وسـعير؟
يا خليــلىَّ دعانى والبكا
لا أرى آلمَ من وخز الضمير

محمد برهام



تطور العقل

« للاستاذ السر أرثر طمسن »

ترجمة بشير الياس اللوس

تبدأ حياة الكائن البشرى كحجيرة مجهرية تعرف بالبويضة الملقحة، وهى بالرغم من صغرها المتناهى تضم تراث العصور السحيقة التى مر عليها أسلاف الجنس البشرى من قبل. ان طيلة الاشهر التسعة التى يقضيها الجنين فى رحم أمه متصلا بها اتصالا بيولوجيا وثيقا، ماهى الادور سبات عميق، وليس هناك من يستطيع ان يبسط رأيا مثبتا فيما يختص بعقل الجنين غير المولود، وحتى بعد الولادة مباشرة، وكل مايمكن قوله ان نمو العقل يسير ببطء كبير.

ليس فى البويضة الملقحة، أو الجنين الاولى، جهاز عصبى قط، ولكنه ينمو تدريجيا من أوائل بسيطة، ولما كانت العقلية لايمكن أن تستمد من الخارج، ترتب علينا ان نستنتج ان قوتها الكامنة متقمصة فى الفرد منذ القدم، وكذلك الفعاليات الخاصة التى نستخدمها فى حياتنا المعنوية كالشعور والتفكير والارادة لابد انها كائنة فى تضاعيف الجرثومة بصورة كامنة. ومايقال عن الفرد يصدق على الجنس ايضا ـ أى ان هناك تطورا تدريجيا فى تلك الناحية من فعالية المخلوقات الحية التى نسميها «العقل». فلا نستطيع اذن ان نضع أصبعنا فى نقطة معينة ونقول: «لم يكن ثمة عقل قبل هذا الدور» لان جميع الحقائق الماثلة أمامنا تحملنا على الإستنتاج بانه حيثما تكون الحياة لابد من وجود درجة خاصة من العقل. وهذا يصدق حتى فى النباتات التى يظن ان لاعقل لها. ويكون استنتاجنا اكثر دقة اذا عبرنا عنه باسلوب آخر، كأن نقول ان الفعالية التى نسميها «حياة» يلازمها دائما، والى درجة ما، وجهة باطنية أو عقلية.

الافعال الانعكاسية :

نعثر فى الحيوانات المتعددة الحجرات كشقائق البحر (Sea-anemones) على بداية الافعال الانعكاسية Reflex Actions التى تؤلف القسم الاعظم فى تصرف الحيوانات الواطئة أى قد تكون للحيوان اثناء نموه اجهزة معينة من حجيرات عصبية وحجيرات عضلية تسهل اصدار اجوبة ملائمة وصحيحة على المؤثرات الخارجية. فدودة الارض التى قد اخرجت نصف جسمها من الوكر تكون حذرة ومتيقظة لأخف وطأة قدم فتقلص نفسها وتنسل الى وكرها قبل ان يقول احدنا «هذا عمل انعكاسى».

ان الطريقة التطورية ـ اذا جاز لنا اطلاق هذا التعبير ـ اهلت الحيوانات للاجابة على المؤثرات بسرعة كلية، وكلما صعدنا فى سلم المملكة الحيوانية وجدنا الاعمال الانعكاسية اكثر تعقيدا واحكم ارتباطا مع بعضها، حتى ان حدوث عمل ما قد يستدعى حدوث اعمال أخرى. وهكذا نجد سلسلة مستحكمة الحلقات بين الافعال الانعكاسية. ان تصرف النبات آكل الحشرات المعروف ب (Venus'fly-trap) عند ماينطبق على حشرة لافتراسها يشبه الفعل الانعكاسى فى الحيوانات، على انه ليس للنباتات جهاز عصبى خاص.

الافعال الاتجاهية (Tropisms)

وهناك افعال انعكاسية أخرى ارقى من تلك تسمى «الافعال الاتجاهية» وهى حركات أو اعمال يقوم بها الحيوان حرصا على تنظيم بدنه الكلى واحداث التوازن الفيسيولوجى بالنسبة الى الجذب والضغط، والتيارات والرطوبة، والحرارة والضوء والكهربائية. فعندما تمر الفراشة بالقرب من مصباح تستضىء العين القريبة من مصدر النور أكثر من الاخرى فينتج عن ذلك اختلال فيسيولوجى يؤثر فى الحجيرات العصبية والعضلية، وبالنتيجة تنظم الفراشة طيرانها بصورة تلقائية كما تكون كلتا العينين متأثرتين بنفس الشدة من النور، وبعملها هذا تحوم حول المصباح، وربما أدى ذلك الى القضاء على حياتها. إن هذه الافعال الاتجاهية تلعب دورا هاما فى السلوك

السلوك الغريزى (Instinctive)

وارتقت الحيوانات خطوة أخرى فكان لها سلوك غريزى وصل الى درجة مدهشة فى الكمال فى النمل والنحل والزنابير. ويعرف عن هذا السلوك انه يتوقف على مؤهلات فطرية، فلا يحتاج الى تعلم، وهو مستقل عن التمرين والاختبار ولوانهما يهذبانه. يشترك فى هذا

السلوك جميع افراد النوع (species) من الجنس الواحد على السواء (لان الغرائز المختصة بالذكور قد تختلف عن الغرائز المختصة بالاناث) . وهذه الافعال تستهدف حياة الفرد وتضمن استمرار النسل ، ولو ان بعضا منها يحدث مرة واحدة طيلة حياة الفرد . فالفراشة الانثى لنبات ابرة آدم (Yucca moth) تبرز من الشرنقة عند ماتتفتح زهرة اليوكا الصغيرة فتطير الى زهرة تجمع شيئا من الطلع (folen) المحمول على الأسدية (estamens) وتجبله بشكل حبة كروية صغيرة تخزنها تحت ذقنها . ثم تطير الى زهرة يوكا اقدم عهدا من الاولى ، وتلقى بيضها فى بعض البويضات التى فى مبيض الزهرة، ولكن قبل أن تصنع ذلك عليها أن تضع كرة الطلع على جسم المدقة (stigma) ومن ثم تنفتح كرة الطلع وترسل منها أنابيب تتجه نحو المبيض فتنزل نواة الطلع بواسطة أحد الانابيب الى البويضات وتلقحها؛ وبهذه الطريقة تتكون بذور نبات اليوكا لا تختلف عن اترابها فى شىء ، الا أن بعض هذه البذور يكون مأوى لبيوض فراشة اليوكا التى حالما تفقس تسير فى حياتها على نفس الخط الذى سارت عليه اسلافها تماما من غير تلقين أو تعلم ، وفى ذلك دليل على أن هذه الحيوانات تضمن استمرار نسلها بسلسلة من الافعال المنظمة . هى جزء من تراثها الغريزى .

أمام وجهة النظر الفيسيولوجية، فالسلوك الغريزى هو كسلسلة من أفعال انعكاسية مركبة ، ولكن فى بعض الاحوال على الاقل علينا أن نعتقد أن السلوك يخالطه شىء من الحذر والاجتهاد ، ويجب أن يلاحظ أنه كما أن النمل والنحل والزنابير تظهر فى أغلب الحالات سلوكا غريزيا بحتا ، وتسير أحيانا على خطة التجربة والخطأ أو الابتكار التجريبى . كذلك بين الطيور والثدييات قد يحل السلوك الغريزى أحيانا محل السلوك المدرك (Intelligent) . ولعله لا يوجد سلوك غريزى بدون شىء من الذكاء ، ولا سلوك مدرك بدون عنصر غريزى . إن الفكرة القديمة القائلة أن السلوك الغريزى كان فى الاصل سلوكا مدركا وأن الغريزة نشأت عن الادراك : هى فكرة مخطئة لانها تقوم على فرض غير مثبت ، وهى تشير الى القول بأن اكتسابات الفرد تنتقل الى النسل . واغلب الظن أن الغريزة والذكاء سارا على طريقين مختلفين فى حلبة التطور .

الذكاء الحيوانى

وتقدم الحيوان فى سلم التطور خطوة أخرى فكان له سلوك ينم عن الذكاء والادراك، ولم يعد فى استطاعته أن يستفيد من الاختبار فحسب ، بل من التعلم بالتلقين أيضا . إن هذه الافعال المنطوية على ذكاء تتنوع بتنوع الافراد ، وهى قابلة للتحوير والتعديل بطرق قلما يصح تطبيقها على الغرائز التى لا يمكن لأى كائن حى أن يستغنى عنها بدون أن ترتبك عليه الحياة وتتعقد عليه مشا كلها . فضلا عن ذلك فان السلوك الغريزى المدرك غير مقيد بظروف خاصة كما هو شأن السلوك الغريزى ، وهناك أدلة قاطعة على أن السلوك المدرك ناتج عن علم بقيمة العلاقات الكائنة بين الاشياء .

بيد أننا لم نعثر على دليل واضح يؤكد لنا أن الفعالية الذهنية التى نسميها « محاكمة عقلية » كائنة فى الحيوانات التى هى تحت مستوى الانسان . والواقع أننا لا نستطيع دائما ، أن نعتبر سلوك الانسان عقليا ، بل يجب أن نقول أن فى وسعه اظهار تلك القابلية متى شاء وحينما يتسنى له ذلك .

لاشك أن تطور الحيوانات كان يلازمه دائما تعقيد فى الاعمال ، وبراعة فى السلوك، حتى أصبحت تلك المخلوقات أكثر حرية وأعظم سطوة فى مجال الطبيعة ، وأمست مؤهلاتها النفسية — كالتفكير والتعلم والشعور والارادة — أكثر فأكثر أهمية ؟

بشير الياس اللوس (الموصل)

الزمن

أتينا فى كلمة سابقة على تطور رأى العلماء بشأن الفضاء . وكيف أن الجزء المعين منه لا يمكن أن يكون له قدر ثابت . ذلك لاننا نقيس الفضاء بحجوم الاجسام المادية التى تشغله ، وحجوم تلك الأجسام تتغير بتغير حركتها . فالصندوق الذى حجمه متر مكعب وهو على سطح الأرض لو انطلق فى الفضاء بسرعة أكبر من سرعة الأرض نقص حجمه عن متر . ولو تخلف عن الأرض وسار بسرعة أقل من سرعتها زاد حجمه عن متر . ويمكن أن يكون له أى حجم نشاء اذا نحن جعلناه يتحرك بالسرعة اللازمة . فالقول بأن حجم هذا الصندوق متر مكعب هو قول ناقص ، ويجب أن نتممه بعبارة « وهو على سطح الأرض »

والآن نلخص تطورا آخر بشأن الزمن يشبه من وجوه كثيرة هذا التطور بشأن الفضاء . ذلك لأن الزمن أيضا لم يعد له قياس مطلق ثابت ولا سياق معين اللهم إلا فى المكان الواحد . فعبارة «ساعة من الزمان» لامعنى لها الا اذا قلنا «بالنسبة لكوكب كذا» كما أن عبارة ماض وحاضر ومستقبل لايمكن اطلاقها الا فى نفس المكان . وقد انبنى هذا التطور على الحقيقة الآتية :

من المعلوم أن الضوء يستغرق زمنا فى انتقاله من مكان الى مكان ، فالشعاع الذى ينطلق من الشمس يصل الينا على الأرض بعد ثمانى دقائق من انطلاقه . ومن الأجرام السماوية ما يستغرق ضوءه فى الوصول الينا ساعة أو ساعات ، أو يوما أو أياما ، أو سنة أو سنين

أو آلاف السنين أو ملايين السنين بحسب البعد بيننا وبينه .

ومن المعلوم أن الانسان لا يرى الشيء الا اذا استقبل بعدسة عينه أشعة ضوئية منبعثة من ذلك الشيء تتركز على شبكية العين بهيئة صورة لذلك المرئي تحس بها أعصاب الابصار ، وعلى ذلك فالحادثة التي تقع على الشمس الآن لا نراها نحن الا بعد ثماني دقائق ، وكلما بعد الكوكب أبطأت أخباره في الوصول الينا . هذه الحقيقة تبدو بسيطة ولكنها تولد مشكلات خطيرة نلخص بعضها فيما يلي :

(أولا) تصور أنك انتقلت فجأة الى كوكب يبعد عن الأرض مسافة يقطعها الضوء في ١٤ سنة ، وأنك تستطيع هناك أن ترى ما يجري في القطر المصري بالتفصيل ، فما الذي تراه ؟ . إنك ترى من جديد حوادث الحركة الوطنية واضطرابات سنة ١٩١٩ . ثم تمر عليك الحوادث سنة بعد سنة ولا تستطيع رؤية ما هو جار الآن الا في سنة ١٩٤٧ . فأنت استطعت اذن أن تعيش الآن فيما هو بالنسبة لنا ماض ، وذلك لمجرد انتقالك الى مكان آخر من الكون . كما أننا نعيش الآن فيما هو بالنسبة لك مستقبل لأنه لن يمر بك الا بعد ١٤ سنة .

(ثانيا) تصور أنك بعد انتقالك الى ذلك الكوكب وأشرافك من هناك على الحركة الوطنية المصرية ، فضلت العودة الى الأرض على جناح السرعة . وقطعت المسافة من هناك الى هنا في ساعة واحدة (على فرض امكان ذلك) فما الذي يبدو لك ؟ أنك ترى حوادث هذه الـ ١٤ سنة تمر عليك بسرعة وتنقضي كلها في ساعة . معنى ذلك أن الـ ١٤ سنة في حسابنا قد صارت في حسابك ساعة ، وذلك لمجرد تغير حدث في اتجاه حركتك وفي مقدار سرعتك .

(ثالثا) تصور أنك وأنت على هذا الكوكب فضلت زيادة الابتعاد عن الأرض ومن عليها وركبت شعاعا ضوئيا يطير بك الى الناحية الأخرى من الكون ، فماذا ترى أثناء رحلتك ؟ إنك ترى على الارض شيئاً عجبا : ترى كل شيء عليها قد وقف عن الحركة فجأة وثبت على حالة واحدة ، كأنما قد أصاب كل ما عليها ومن عليها شلل تام . ذلك لأنه لم يعد يصل اليك منها ضوء جديد ، وصرت تستقبل دائما موجة واحدة من ضوئنا تمثل لك لحظة واحدة فقط من لحظاتنا . فأنت والحالة هذه تعيش باستمرار فيما نسميه نحن لحظة واحدة .

(رابعا) تصور أن ابتعادك هذا كان بسرعة أكبر من سرعة الضوء ، فما الذي تشاهده ؟ إنك ترى في هذه المرة أعجب العجب . ترى الحوادث الارضية وقد بدأت يتلو بعضها بعضاً ولكن على غير النظام الذي مرت به علينا ، وعلى عكس ذلك النظام . ترى أولا حوادث سنة ١٩١٩ ثم حوادث سنة ١٩١٨ ثم حوادث سنة ١٩١٧ وهكذا . ذلك لأنك لا تستقبل الضوء منا بالنظام الذي انبعث به بل تلحق بالتدريج بما مضى منه موجة بعد موجة . وبذلك تستطيع أن تقلب نظام الزمن رأسا على عقب فترى حاضره قبل ماضيه وماضيه قبل غابره .

(خامسا) تصور أننا هنا على سطح الارض نرقب كوكبا يبتعد عنا بسرعة كبيرة بحيث تبدأ الحادثة هناك ، وفي أثناء وقوعها يكون الكوكب قد ابتعد عنا مسافة أخرى علاوة على بعده الاصلي . وتصور أن حادثة ما يستغرق ساعة من الزمان قد ابتدأت هناك ورأينا بدايتها . ففي الوقت الذي تتم فيه تلك الحادثة يكون الكوكب قد قطع مسافة جديدة يضطر الضوء لقطعها ثانية في زمن معين . وعلى ذلك فان الضوء الذي يدلنا على هذه الحادثة لا يتم تواردة علينا في ساعة بل في أكثر من ساعة من هذه الحادثة من حسابنا يزيد على ساعة . معنى ذلك أن حوادث ذلك الكوكب تبدو لنا كشريط سينمائي بطيء ، كما أن الحوادث على الارض تبدو لسكان ذلك الكوكب كشريط سينمائي بطيء .

عبد المغني على حسين

مدرس بمدرسة المنصورة الثانوية



آلة الزمان

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

سأقص حديثاً عجيباً . من شاء أن يصدقه فانى أشكره مع تقديرى أنه إنما يصدقنى لاعتقاده أننى لا أكذب ، وأما إذا شاء أحد أن يكذبنى فله أن يفعل وهو معذور . فان الناس لا يصدقون ما يرونه بأعينهم ، ولا سبيل إلى أن أريهم ما رأيت ، وقد آثرت أن أذكر فى حديثى هذا كل الأسماء على حقيقتها حتى اذا عرف أحد بعض هذه الاسماء ساعده ذلك على تصديقى ، إذ ليس من الممكن أن تبلغ بى الجرأة على الحق أن أذكر أسماء الناس علنا فى صحيفة سيارة وأنا كاذب فى قولى : أصبت فى وقت من الاوقات بضعف فى الاعصاب من الجهد المتواصل والهم المضنى ، فوصف لى بعض الأطباء أنواعا من الرياضة . ولكن أبى الله أن يمكننى من ذلك العلاج . فقد زهدت فى رياضة الصيد اذ رأيت فيها قسوة ومثلة ووحشية ، ثم زهدت فى السباحة لأننى لم أجد مكاناً منعزلا ملائماً أنزل إلى البحر فيه فى أثناء الصيف ، لأن جسمى ليس بالجميل ، وثياب الشواطىء كما لا يخفى على أحد مهلهلة تصف الأجسام على حقيقتها ، ثم مارست ماسوى ذلك من أنواع الرياضة حينا فأصبت بضعف فى رجلى فلم أستطع متابعة هذا السعى ، لأن الرياضى لا يليق به أن يظلع . ولكنى جعلت أبحث عن تسلية ملائمة فوفقت إلى اختراع اخترعه انجليزى بارع وهو المؤلف المشهور (هـ . ج . ولز) . وكان لاختراعه هذا رجة كبرى فى الأوساط العلمية ، ولكن هذا المخترع يحترف الأدب فأصابته محنة الأدباء فلم يقبل أحد على شراء اختراعه . فغضب حتى حطم النموذج الذى اخترعه وأبى أن يعلنه الى الناس . غير أنه لما بلغه ما أنا فيه من الحيرة بعث الى بوصف اختراعه ، وطلب الى أن أستفيد به ما شئت ، ولكنه حرّم على أطلع أحداً عليه إلا باذنه . فلا يطمع أحد فى أن يسألنى عن سر ذلك الاختراع . ومن شاء فليرسل الى ذلك العالم وليسأله أن يبيح له الاطلاع على النموذج الذى صنعته أنا لنفسى ، فاذا فعل لم أتردد فى إطلاعه عليه . وذلك الاختراع بالاختصار هو آلة دقيقة الصنع تحتاج إلى مهارة فائقة فى الادارة والاستعمال ، كما تحتاج الى مواهب خاصة فيمن يريد أن يستعملها . وأحمد الله اذ كنت ممن منح هذه المواهب الخاصة ، وهى مصنوعة من معدن من معدن لا يزال عجيب الخواص مجهول الكنه ، ومن خواصه التى عرفت الى اليوم أنه شفاف ولا تبصره الاعين فى ضوء النهار الا إذا وضع منظار من نفس المعدن على الأعين . ولهذا يسهل على الانسان أن يترك الآلة المصنوعة منه فى أى مكان بغير حارس ولا يخاف عليها اللصوص أو من عبث المارة .

ولا حاجة بى الى الاطالة فى وصف هذه الآلة ، ويكفينى أن أذكر اسمها وقد يكون بعض القراء قد سمع به من قبل وهى (آلة الزمان) ، واسم هذه الآلة يدل عليها وعلى الغرض منها . ومن أراد التوسع فى فهم أغراضها ونظرياتها وطرق إدارتها فعليه أن يستأذن صاحب اختراعها كما أسلفت فى أول هذا الحديث .

هذه الآلة بالاختصار عبارة عن حجرة صغيرة لها جدران شفافة من المعدن الذى وصفته ، وفيها مقعد واحد لا يسع الا رجلا واحداً . وفى داخلها أمام المقعد مفاتيح كثيرة يتحرك بعضها الى أعلى وبعضها الى أسفل وبعضها الى اليمين والبعض الى اليسار وهكذا فى جميع الانحاء التى يتصورها الذهن ، وفى وسطها عجلة كبيرة تدور إذا قبض عليها الانسان بيده وضغط عليها قليلا . فاذا أمال يده نحو اليمين دارت يمينا ، واذا أمالها نحو اليسار دارت يساراً . وهذه العجلة هى أم الآلات فى تلك الحجرة . فاذا ما لمسها الانسان وضغط عليها دارت دورانا شديداً ، فاذا بالحجرة كلها تدور دوراناً شديداً ، ثم اذا بالجالس على الكرسى يعتريه دوار شديد ويفقد الحس حينا من الزمن ثم يصحو فينظر الى ما حوله فيرى مناظر غير المناظر التى كانت حوله قبل أن يدير العجلة . لا بل انه يرى مناظر ما كان يحلم بوجودها قبل أن يضع يده على تلك العجلة .

والذى يحدث باختصار عند ضغط العجلة أن الانسان اذا مال بيده نحو اليمين دارت الآلة ، وتحرك لسان على لوحة أمام الجالس

فهبط الى اسفل، وعلى تلك اللوحة أرقام كثيرة. وعند ذلك ينتقل هذا الشخص الجالس فى الآلة بطريقة عجيبة يطول شرحها — ولا أسمح لنفسى أن أذكرها بغير اذن — فاذا ذلك الجالس ينتقل على السنين نحو الماضى فيذهب الى العصور الماضية ويرى نفسه يمر على السنوات الغابرة عاما فعاما. وكلما انتقل من عام الى عام قبله تحرك اللسان على اللوحة مشيرا الى رقم السنة. وأما اذا كان ميل الضغط نحو اليسار فان اللسان يتحرك على اللوحة الى أعلى، فاذا بالجالس فى تلك الآلة ينتقل على السنين نحو المستقبل فيذهب الى العصور المقبلة ويرى نفسه فى غمار الحياة فى الاجيال الآتية. ويتحرك اللسان على اللوحة مشيرا الى رقم السنوات المقبلة. حسبى الآن ما ذكرت من وصف الآلة فانى أخشى من بعض أساتذة الجامعة فى كلية العلوم أن يفطن اذا أطلت الوصف فيعرف سر هذه الآلة من ثنايا قولى بوساطة بعض طرقهم العلمية الماكرة من الارثماطيقى والماتماطيقى والفيزيقى والميقانيقى. أو غير ذلك من العلوم التى لا علم لى بها. فانهم لو فعلوا ذلك لأوقعونى فى ورطة، اذ أكون قد خدعت عن سر لا أملكه ولا يجمل بى التصرف فيه. وقد كنت اذا شعرت بالسأم يدب الى نفسى أنهض الى هذه الآلة فأجلس فيها وأدير العجلة الوسطى نحو اليمين فاذهب فى العصور الماضية الى حيث شئت. وقد كنت اختار دائما تلك العصور الماضية لانى شديد الحنين اليها لانى لست ممن يرتاحون الى الوقت الحاضر، ولا يرون فى الحال الماثلة حولنا شيئا ترتاح اليه النفس أو يطمئن اليه القلب. فالناس فيه: شيوخهم فيهم وهن، وكهولهم فيهم حرص، وشبانهم فيهم طراوة ورخاوة.

ولا فائدة فى أن أعيد الى القارىء مناظر تلك العصور الماضية، فهى ماثلة مصورة فى كتب التاريخ اذا كانت غير ماثلة مع الاهواء. وكنت أجد ما أحببت من السرور بالتجول فى تلك العصور، اذ كنت أشبع كبريائى بما أراه من مجد الآباء والأجداد، وكنت اذا رأيت منظرا يؤلمنى فى عصر من العصور أسرعت بادارة العجلة التى أمامى فأنتقل مسرعا حتى أبصر مناظر جديدة فى عصر آخر فأوقف العجلة وانزل من الآلة وأتجول فى أنحاء ذلك العصر حتى امتلىء سرورا، ثم أرجع وأدير العجلة فأعود الى عصرى ومنزلى خوف أن يقلق أهلى اذا أطلت عنهم غيبتى. وقد وقعت عينى مرة فى أثناء عودتى الى عصرى على منظر استرعى انتباهى فأوقفت العجلة مسرعا ثم نزلت من الآلة لأشاهده. فقد رأيت رجلا من عامة أهل الريف واقفا فى وسط ساحة قريبة من (ميدان الاوبرا) وقد أخذ بتلابيبه رجل على رأسه قبعة قذرة وهو ضخم الجسم ولكن وجهه بشع المنظر، وله عينان كأنهما عينا ذئب مفترس، وله أظافر طويلة ليست كأظافر بنى الانسان بل هى قريبة الى أظافر النسور مقصوصة طويلة مدببة. وقد وقف حول الرجلين جماعة من أمم مختلفة، ولكن أكثرهم من أولاد مصر القاهرة ممن يسهل اجتماعهم حول أية ضجة تثور فى طريق من الطرق، وهم لا يقصدون بذلك الا اشباع رغبة الاستطلاع وإفساح المجال الى دعاباتهم المحببة اليهم، وثرثرتهم الصادرة عن طيبة بالغة فى قلوبهم، فوقفت بينهم وأنا ممتلىء مثلهم رغبة فى الاستطلاع، ولا فرق بينى وبينهم إلا أننى لم أكن عند ذلك مستعدا للدعابة ولا للثرثرة. وبعد هنيهة علمت أن ذلك المبرنط دائن لذلك الريفى وأنه قد استولى على كل ماله فى الريف حتى ألجأه الى أن يهرب الى القاهرة لاجئاً الى أزقتها وجدران مبانيها متخذا الأولى مغدى ومراحا والثانية مأوى. وقد استجدى ذلك الفلاح يوما رغيفا فأكل ربعه ودس الباقى فى جيب ثوبه المهلهل جاعلا اياه ذخراً يلجأ اليه اذا عضه الجوع فى ليلة لم يجد فيها من يطعمه لقمة. فكان جيبه بارزا الى أمام يخيل الى من يراه أنه قد خبأ فيه شيئا ذا قيمة، وقد أراد سوء حظه أن يلقاه دائنه المبرنط وهو على تلك الحال، فاسرع اليه الشك فى أنه يخفى فى جيبه دجاجة لها بيض ذهبى، وزاد الشك فى قلبه وغلى دمه عند ماتذكر أنه لايزال له على ذلك الريفى مقدار من المال. فقال فى نفسه « يا للعدالة! أأكون دائنا لذلك الريفى ولا أستطيع أن أحصل على دينى منه؟ وها هو ذا يسير طليقا وفى جيبه دجاجة تبيض الذهب؟ » وماهو إلا أن قال ذلك فى نفسه حتى اندفع اليه وأمسك بتلابيبه. وماهو الا أن فعل ذلك حتى اجتمع من رأيت حولهما من الناس ينظرون ويتكلمون ويمزحون. وقد أراد ذلك المبرنط أن ينزع عنه ثوبه المهلهل ليرى ماتحته فابى الرجل الريفى خجلا من أن يرى الناس جسمه المشعر عاريا، فتشبث بالثوب وعلا النزاع بين الرجلين حتى بدأ النظارة يتدخلون بينهما. ووقفت أنظر مايؤول اليه أمر هذا النزاع، فما هى الابرهة حتى رأيت الجميع يتألبون على الريفى حتى نزعوا عنه ثوبه، يبحثون عن الدجاجة ذات البيض الذهبى. فلما تم لهم ذلك المسعى لم يجدوا الا رغيفا مقطوع الربع مهشم الباقى. فلما رأى الرجل المبرنط ذلك لم يرض أن يرجع من هجومه ذلك خائبا، فأصر على أن يأخذ الثوب المهلهل ويترك الرجل عاريا، ثم فكر فى اخذ الرغيف ولكن نفسه عافته، وظن أنه لن يجدله شاريا فتركه وقال: « عليك ان تشكرنى أيها المماطل لانى تركت لك ذلك الرغيف تأكله وتملأ به بطنك وتنام فى حين أنى لا اتقاضى منك دينى. يا للعدالة! »

قال هذا فهز كثير من الحضور رءوسهم علامة الأعجاب والموافقة ولم يتكلم واحد منهم كلمة. ولكنى كنت حديث العهد برحلة فى عصر ماض من عصور مجد بلادى وكان قلبى ممتلئا كبرا واعتدادا بنفسى. فانفت أن اترك مواطنى فى هذا البلاء. فتقدمت نحوه وقد غلبنى الغضب على الصمت وقلت للريفى بصوت عال:
« هل لك أيها المسكين أن تشترك معى فى استرداد ثوبك بالقوة؟» فنظر الرجل الى نظرة ذات مغزى ثم نظر الى من حولنا وسكت، فنظرت حيث رأيته ينظر فاذا بالنظارة يمزحون ويضحكون ويقلبون الثوب وهو مع الرجل المبرنط ويهنئونه بحصوله على شيء من دينه. وكان اعلاهم صوتا رجال مبرنطون مثله يبلغون العشرة عدا. فعلمت من نظرة الرجل أنه يرى نفسه عاجزا ولو مع مساعدتى على استرداد ثوبه. ورأيت دمعة تسقط من عينه. وجثا على ركبتيه حياء من تعريض جسمه الضخم المشعر للانظار. وكان فوق ثيابى معطف قديم كنت أحتاط بلبسه فى رحلاتى فخلعته صامتا وطرحته فوق منكبيه فكساه إلى ما تحت ركبتيه. فنظر إلى صامتا نظرة كدت أبكى من وقعها عندما لاقت نظرى، وتركته مسرعا وعدت الى الآلة فأسرعت بها عائدا إلى العصور الماضية أطلب التسلية فى مناظرها. حتى إذا ما سرى عنى ما بى من الشجن أدرت العجلة وعدت مسرعا الى عصرى ودخلت منزلى، وكان أهلى قد قلقوا لطول غيبتى. ومنذ ذلك اليوم عاودتنى كآبة كانت تظهر فى حديثى وتدل عليها ملامح وجهى حتى لقد لحظها بعض أصدقائى، وكان فيهم جماعة من الشبان أولى الهمة فجعلوا يسألوننى عن علة ما بى فذكرت لهم قصتى فى ذلك اليوم الذى رأيت فيه ما رأيته من المبرنط والريفى. وذكرت لهم فى قصتى حديث الآلة التى أتجول بها فى العصور الماضية طالبا التسلية من هموم الوقت الحاضر. فقال لى أحدهم واسمه توفيق: « ولكن العجيب أنك لم تفكر يوما فى أن تدير تلك العجلة نحو اليسار» ولم أتنبه قبل الساعة الى أن عجلة الآلة يمكن أن تدار الى اليسار فيكون التجول فى عصور المستقبل بدل أن يكون فى عصور الماضى. فقلت له وبى شيء من الارتباك « انى لم أفطن الى ذلك الا الآن » فأجابنى ذلك الصديق الشاب « انى أعتقد أن السلوة لا تكون أبدا فى العودة الى الماضى. فان الغنى اذا افتقر لا يسليه عن فقره أنه كان يوما ما واسع النعمة رافلا فى الغنى بل ان ذلك أدعى الى أسفه وأسخن لعينه. ولكن الذى يسلى الفقير أن يتطلع إلى المستقبل ليرى أنه سيكون بعد ألمه فى راحة وبعد املاقه فى غنى. وكذلك الحال فى السجين، فانه لا يهدأ قلبه من ذكرى ماضى حريته، بل ان قلبه يهدأ وألمه يضمحل اذا فكر فى قرب يوم الانطلاق ». والحق أنى لم أتعلم من أحد مثل هذه الحكمة الصادرة من شاب غير مجرب. وقد شعرت بالخجل اذ رأيت أحد أبنائى فى السن يعلمنى حكمة غربت عن فكرى، ولكنى أحمد الله على أنى فى هذه الأمور أنزل عند الحق ولا تأخذنى العزة بالاثم. فقلت له « انى شاكر لك تنبيهى الى هذا يا صديقى وسوف أقص عليك نبأ ما أرى » وما هى الا ساعة حتى كنت جالسا على المقعد فى تلك الآلة المحبوبة ووضعت يدى على عجلتها وادرتها ضاغطا نحو اليسار. فرأيت اللسان يتحرك هذه المرة الى أعلى وقد أشار الى أرقام أعلى من رقم ١٩٣٣. وقد عرانى عند دوران الآلة دوار شديد لم أشعر بمثله عند تجوالى فى العصور الماضية فلم أفق من الدوار حتى كان اللسان قد بلغ رقم (٢٠٠٠) عند ذلك أوقفت حركة العجلة ونزلت من الآلة وتركتها على جانب الطريق الذى وجدت نفسى فيه. ولم أخش أن أتركها حيث هى وأسير إذ أنى كنت على يقين من أنها فى مأمن من السرقة لأنى كنت واثقا كل الثقة من أنه ليس فى الناس جميعا من يملك منظاراً من معدن الآلة فيستطيع أن يراها الا أنا والمخترع الأصلى للالة وقد سبق لى ذكر اسمه.

سرت بعد ذلك فى طرق عجيبة لم تقع عينى على مثلها، فهى فسيحة لا يقل عرض أضيقها عن مائة متر.

ويحف بها من جانبيها أبنية شاهقة هى أشبه بما نسمع عنه فى عصرنا الحالى فى أمريكا وهو ما يسمونه (ناطحات السحاب) وكانت حركة الانتقال فى تلك الطرق الفسيحة سريعة عنيفة حتى كنت أخطو الخطوة وأنا خائف أترقب، وكانت السيارات من كل نوع ومن صنوف لم أرمثلها من قبل فى عصرى الذى أعيش فيه وما كان أشد عجبى عند ما رفعت رأسى الى قمة هذه الأبنية فوجدت فوقها حركة عظيمة من طيور عظيمة تعدو وأخرى تهبط، ولكنى عجبت أن تكون الطيور فى مثل هذا الحجم وهى على البعد العظيم الذى بينى وبين قمم هذه الأبنية، وهممت أن أسأل بعض المارين عن ذلك، ثم رأيت منطاداً طائراً يشبه ذلك المنطاد الذى أتى به (اكنر) الى مصر فى العام المنصرم فى عصرنا هذا، ففكرت فى نفسى قائلا: ألا تكون تلك الطيور طائرات ميكانيكية. ولم يطل بى أمد الحدس والتخمين فقد رأيت طائراً من تلك الطيور يهوى من العلو الشاهق الى أسفل فاذا به يستوى على جانب الطريق واذا به آدمى قد وضع على ظهره آلة ذات جناحين قد ربطها ربطا محكما فى كتفيه وأعلى صدره. فما هبط على الأرض حتى حل الاربطة وعالج الآلة حتى استوت على عجلتين كانتا خفيتين ثم أدار لولبا فى جانب الآلة فاذا

بها تعدو على نمط (الموتوسيكل) فى عصرنا الحالى . وعند ذلك فقط عرفت كنه هذه الأسراب الطائرة فوق أعلى الأبنية. ومضيت فى سيرى وأنا أكثر علما بأنى فى عصر جديد وعهد غير ما عرفت فى بلادى . وجعلت وأنا سائر أتلفت حولى تلفت المذهول الدهش كأنى بعض أهل الريف نزل عاصمة كبرى لأول مرة فى حياته . فقلت فى نفسى إننى أخشى إن أنا بعدت عن موضعى ألا أستطيع العودة اليه فليست هذه مدينة القاهرة التى ولدت فيها وعشت فيها طوال السنين . بل لقد غيرها مر الدهر أى تغيير حتى صارت غير ملائمة لحواسى وأعصابى . وعولت على أن أعود الى الآلة التى حملتنى إلى ذلك العصر المجهول فأحرك عجلتها وأعود من حيث أتيت . وبينا أنا افكر فى ذلك غير ناظر إلى ما حولى أذ أسرع الى شاب فاختطفنى اختطافا ودفعنى إلى جانب . وما هى الا ثانية بعد ذلك حتى رأيت طائرا من تلك الطيور الآدمية قد نزل فى الموضع الذى كنت واقفا فيه ولولم يدفعنى ذلك الشاب لكان الطائر قد هوى على وحطم رأسى . فلما أفقت من ذعرى خاطبنى الشاب بلهجة اللوم قائلا : «أما ترى علامة انفتاح الطريق أمامك ؟» فنظرت الى حيث أشار بيده فوجدت أشارة حمراء وسهما مشيرا إلى أعلى فعلمت أن ذلك المكان موضع لرسو من أراد النزول من الطائرين إلى الأرض وأن الناس قد اعتادوا إطاعة تلك الاشارات الحمراء وتحاشى تلك المواضع . فاعتذرت الى الشاب وشكرته ثم دنوت منه فسألته قائلا : « أرجو أن تدلنى على مكان محطة المترو هنا . فنظر إلى الشاب وتبسم ضاحكا ثم قال : « لقد عرفت منذ رأيتك انك لست من أهل القاهرة » فغضبت لهذا لأنى لا اعتز بشىء اعتزازى بانى من أبناء القاهرة الصميمين ، وقلت له : « إننى منهم ومنزلى فى مصر الجديدة فى شارع . . » وما كدت أكمل هذا القول حتى ضحك وقال « مصر الجديدة ! حقا إنك رجل ظريف . تعال معى الى هذا المجلس فانى متعب وقد سرتنى دعابتك . فمن أى الارياف جئت ؟ »

قال هـذا وسار بى نحو مقعد عام على جانب الحديقة التى فى وسط الطريق . وقد أعجبتنى من الشاب شهامته وخفة روحه فكظمت غضبى من إصراره على أننى ريفى ، وذهبت معه وأنا مسرور لأننى وجدت رجلا من أهل العصر الذى دخلت فيه أكلمه وأعرف منه أسرار حياة الناس فى أيامه . فلما استقر بنا الجلوس قال باسما : «أنت إذن من مصر الجديده ؟» فقلت له متحديا :

« نعم ! أنا من هناك »

قال : « إننى سمعت بهذا الاسم فى التاريخ فى أثناء دراستى فى الجامعة ، ولكن مصر الجديدة اليوم اسمها حى الشركة القديمة .»

فقلت — « حى الشركة القديمة ؟ ولكن ما معنى هذا ؟ »

فقال اننى كنت أدرس التاريخ الاقتصادى فى جامعة حوش عيسى وهناك . . . . . »

فلم أتمالك نفسى أن ضحكت هذه المرة متهكما اذ رأيت فرصة للانتقام . وقلت : « جامعة حوش عيسى ؟ يالك من مداعب ماهر ! ألا تعرف أننى عشت فى إقليم البحيرة ورأيت حوش عيسى ؟ جامعة حوش عيسى !» ثم اندفعت أضحك

فقال الشاب متعجبا من ضحكى : «لست أدرى لماذا تضحك ؟ نعم جامعة حوش عيسى . ألا تعجبك مدينة تعدادها اليوم فوق نصف المليون من الأنفس ؟ وهل تسخر من مدينة هى مركز شركات صناعة القطن والحرير والصابون وعجلات السيارات وأجنحة الطيارات ؟ »

فقلت له ضاحكا : « ما أمهرك فى الفكاهة ياأخى ! لعلهم قد كشفوا هناك منجما للفحم . »

فقال الشاب : « منجما للفحم ؟ ولماذا ؟ إن هناك أكبر مؤسسات استخدام أشعة الشمس . فهل من حاجة مع هذه المؤسسات الى منجم للفحم ؟ » فأرجعت شفتى الى نصابيهما من الجد وعلمت أن قول الشاب لا ينم عن هزل أو فكاهة . فقلت له معتذرا : « أرجو المعذرة اذ كنت أجهل ذلك ، ولكنى أرجو أن تخبرنى أى شعب له فضل إنشاء هذه المصانع ؟ »

فنظر الى متعجبا وقال : « الست مصريا ؟ » فقلت له مرتبكا : «نعم أنا مصرى . وكدت أخون نفسى فأفصح له عن سر حالى وحقيقة أمرى ثم تدرعت بالحزم وقلت له : « ولكن أرجو العفو فقد غبت عن مصر مدة طويلة . فالحقيقة أننى انتقلت منها طفلا ولم أعد اليها إلا اليوم . وكنت أحب أن اعرف الموضع الذى كنت أعيش فيه وأنا طفل فسألتك عن محطة المترو لاذهب به الى مصر الجديدة لذلك الغرض

فقال الشاب : « اعلم ان مصر اليوم لا يسمح فيها لشركة أجنبية أن تقوم بعمل . فهذا محرم فى قانونها ، ومنذ عشرات من السنين قد أفلست شركة مصر الجديدة لأنها ضاربت فى بعض المشروعات الاجنبية ، ومنذ أفلست استولت الدولة على مكانها وأطلقت عليه اسم حى الشركة القديمة ، وهو حى متوسط بين حى (الملكة نازلى الذى نحن فيه الآن وحى ميدان الطيران الاصغر الذى فى الطريق المؤدى الى مدينة السويس ، ويمكنك الوصول اليه عن طريق تحت الارض رقم ١٠٥ عن طريق السيارات رقم ٥ شمال ، وكنت أسمع

قول الشاب وانا فى دهشة عظيمة من التغير الذى اعترى البلاد وأردت أن أعلم علم تلك الشركات التى ذكرها الشاب فى عرض حديثه عن مدينة حوش عيسى فقلت له : « ولكنك لم تقل لى لمن تلك الشركات التى تملك مصانع حوش عيسى »

فقال الشاب : « هى مثل الشركات التى تملك مصانع بلبيس والاسماعيلية وبورفؤاد . ومثل شركات مصانع السيارات والطيارات فى أسوان . وشركات استخراج الراديوم والالومنيوم وسائر المعادن من سواحل البحر الاحمر، وشركات مصانع الفواكه والمربيات فى وادى عربة الواقع فى الصحراء فى شرق مديريتى بنى سويف والمنيا . فكلها شركات مصرية »

فلم أتمالك أن اهتززت هزة قوية عند ماذكر الفتى ذلك ورفعت رأسى مباهيا كأنما هذه الشركات قائمة فى عصرى الحالى وكدت أفخر قائلا أنا من بنى مصر هؤلاء . ولكنى ذكرت أن فخر ذلك ليس لى فانى من أهل جيل لم يحق لهم أن يفاخروا بمثل هذا . ورأيت الفتى يستعد للقيام فسألته وأنا آسف لفراقه : « الى أين ؟ » ولقد وددت أن أبقى معه حتى أعرف كل ما فى حياة مصر فى عصره من التجديد البديع ، ولكنه أجاب اجابة حاسمة : « أعتذر لك لانى ذاهب لسماع خطاب رئيس شركة قناة السويس فى البرلمان فى موضوع هام خاص برسوم البحارة فى تلك القناة » فسألته : « وكيف يكون رئيس تلك الشركة عضواً فى البرلمان ؟ » فنظر الى متأففا من غبائى وقال : « ولكن لم تعجب لذلك ؟ أليس مصريا ؟ » فخجلت اذ عرفت أننى دائما أنسى وأخلط بين عصرى وذلك العصر الجديد الذى نزلت به . ومد الفتى يده الى مسلما وقال : « لعلنا نلتقى بعد ! » فسلمت عليه باسما وشكرته ولكننى لم أملك نفسى أن سألته سؤالا كان يجول بنفسى طول المدة التى جلست فيها معه فقلت: « ولكن ماذا فعل الانجليز . ألا يزالون على عهدهم » فرفع الشاب رأسه عاليا وشمخ بأنفه وقال لى غاضبا : « حسبك أيها الرجل . ماظننت أنك تبلغ بى الى مثل هذه الاهانة . »

فقلت معتذراً : « أية اهانة ؟ إننى لم قصد شيئا من ذلك »

فقال وهو يسير : « إنك تذكرنى بعصر مضى منذ بعيد . قضى على بلادى أن تخضع له حينا من الدهر أيام كان أهلها فيهم رخاوة وضعف ، ولكن ماذا يدخل الانجليز اليوم فى أمورنا ولهم من أمورهم فى بلادهم ما يملأ دائرة اهتمامهم ؟ » قال هذا وسار مسرعا وتركنى وحدى لاأملك رأسى مما بها من الدوار. فوضعت منظارى على عينى وجلت بنظرى حتى رأيت الآلة حيث تركتها وأسرعت اليها فأدرتها وعدت الى عصرى ورأيت المناظر التى اعتدتها منذ عشت . وعدت إلى منزلى فقضيت ليلة مسهدة بين آمال وهموم . وقد زارنى اصدقائى فى اليوم التالى فقال لى توفيق : « لعلك رأيت فى العصور الآتية مايذهب عنك ألم الحاضر »

فقلت : « لن ترانى بعد اليوم مقطب الجبين . سوف أسعى بقدر طاقتى لعلى أكون موفور النصيب من بناء ذلك المجد المقدور . ثم حكيت له قصة ما رأيت وقلت له : « ليحمل كل منا أمانته إلى ابناء الجيل الذى بعده . فهذا مجد محتوم . هذا أمل محقق ان شاء الله »

محمد فريد أبو حديد

هاكم قبعـــة أخرى

تأليف لويجى براندللوا Luigi Pirandeils

وترجمة الدكتور محمد عوض محمد

(ولد لويجى بيراندللو فى ٢٨ يونيو سنة ١٨٦٧ ، فى إحدى القرى بجزيرة صقلية. ودرس فى روما وفى ألمانيا . ثم عاد الى روما واحترف أولا مهنة التدريس . وانصرف فى جهوده الادبية أولا إلى الشعر . ثم الى التأليف القصصى : ثم المسرحى وقد سلك فى بادىء الامر مسلك جيوفانى فرجا (G Verga) الروائى الصقلى الشهير . فكان يتخذ من قصصه وسيلة لوصف أهل صقلية ومعيشتهم وطباعهم : لكنه مالبث أن ظهر أسلوبه الخاص . فى رواية الشيوخ والشاب وفى قصة المرحوم ماتيا باسكال . وأكبر ما يعاب على بيراندللو تغلب العقل على العاطفة فى مؤلفاته ونظره الى الاشياء على غير حقيقتها . وإغراقه فى التحليل وتشاؤمه . ولكن براعته ومقدرته كانت موضع اعجاب شديد فى جميع أوربا . وقد ترجمت قصصه وتآليفه المسرحية الى ١٥ لغة . ومثلت قطعته المسرحية باللغة الايطالية فى انكلترة وفرنسا وسويسرة وفى ألمانيا فقوبلت بحماس شديد . وكان المؤلف نفسه يشرف على اخراجها .)

بعد أن قضى ديجو برونر ساعات طوالا يتمشى ، بلا قصد ولا مأرب ، على ضفاف نهر التيبر ، فى ذلك الحى الهادىء المسمى براتى دى كابتللى Prati dei Catselli ملتزما فى مسيره جدران الثكنات ، ومبتعداً قدر جهده عن ضوء المصابيح ، أحس فجأة ان التعب قد نال منه فتوقف هنيهة تحت ظل شجرة ، ثم صعد البرابى المطلة على النهر . . وهناك جلس موليا وجهه تلقاء النهر ، ومدلياً رجليه من فوق السور .

ومن تحته الماء يتدافع فى جريانه بصوت مبهم غامض ، وقد انعكست على صفحته القاتمة اضواء مرتعدة مضطربة أرسلتها مصابيح الضفة المقابلة وشمل السكون المكان ، فلم يكن ينبعث من المنازل المقابلة صوت ؛ ومن وراء تلك المنازل ، على بعد شاسع ، كان يبدو شبح مدينة روما . وفى السماء قطار يتدافع من السحب الصغيرة ، ذات اللون الرمادى الشاحب . وكأنما كانت تهرول مسرعة ؛ لكى تلبى دعوة داع قد أهاب بها من المشرق الى اجتماع غامض عجيب ، وقد أشرف القمر من فوقها كأنه يستعرضها وهى تمر سراعا بين يديه .

جلس الفتى من غير حراك ، وقد ولى وجهه شطر السماء ، محدقا فى تلك السحب . التى استطاعت بجريانها السريع أن تكسب الليلة المقمرة نشاطا وحركة .

وطرق سمعه فجاة وقع خطوات . فالتفت ليرى القادم ولكن الصوت انقطع .

لا شك أن هذا أحد الناس . قد وقف ليرقب مثله منظر الليل ولكى يتأمل فى تلك السحائب وهى تمضى سراعا ، والى القمر فى السماء إذ يستعرضها ، والى تلك المياه المظلمة القاتمة ، وما انعكس عليها من شعاع مرتعد مضطرب .

ثم تنهد تنهد الحزين . فان احساسه وجود رجل آخر ضايقه ، وأفسد عليه تلك اللذة الحزينة التى يبعثها شعوره بالوحدة . ومن حسن الطالع أنه كان يجلس فى الظلام ، فعسى القادم ألا يراه ، والتفت لكى يستوثق من الأمر .

وجعل يحدق فى هذا الغريب . ياعجبا ! ماخطب هذا الرجل وقد وقف جامدا فريدا وحيدا ؟ ثم ما هذا الشىء الذى بيده كأنه حقيبة صغيرة ؟ لا ليست هذه حقيبة . بل قبعة . . . وبعد فماذا عساه أن يفعل؟ رباه ! إنه يصعد السور . . أتراه يريد أن يرتكب . . ويلاه . . ماهذا . .

وتراجع ديجو بغريزته الى الوراء ، مغمضا عينيه ، حابسا نفسه ، ومادآ يده الى الأمام كانما يدفع شرا ، وهو يتوقع سماع صوت ذلك السقوط المروع فى الماء الذى تحته .

حادث انتحار . . . ياعجبا . . كيف يجوز مثل هذا ؟

ثم فتح عينيه ، وجعل يحدق فى الماء تحديقا شديدا وهو يحاول أن يخترق ببصره أعماقه السوداء . فلم تقع عيناه على شىء . . . الصمت شامل والهدوء باسط جناحيه . . لا صياح ولا نداء ولا صوت . فياعجبا ! ألم يره أحد ، ولم يسمع صوته أنسان؟ هنالك تحت لجج النهر رجل يغرق ، ولعله الآن يكافح فى يأس وفى جهد . . . كل هذا يجرى وهو جالس فى مكانه مرتعدا عاجزا خائرا ! . . . أما يجمل به أن يبادر فيطلب النجدة ! أو يصيح بأعلى صوته . ولكن هيهات . . لم يعد يجدى الصياح والاستنجاد ! لقد رضى أن يبقى مختبئا فى مكانه المظلم ، تاركا ذلك المسكين يغرق ! . . جمد فى مكانه كالصخرة الصماء ، حابسا نفسه ، سائلا نفسه من آن الى آن : أحقا قضى الأمر . . قضى الأمر ؟

وبعد حين جعل ينظر فيما حوله . . لعل الأمر كله حلم رآه ! أن كل شىء باق كما هو لم يتغير : المدينة راقدة تحرسها المصابيح ، وسط سكون عميق كما كانت من قبل ، والأضواء ترتعد على صفحة الماء القاتمة بأشعة ثعبانية ملتوية . . لم يتغير فى هذا المنظر كله سوى شىء واحد . فلقد كان على عمود مصباح من المصابيح قبعة الرجل بقيت هناك حيث تركها ، وكان المصباح يرسل عليها شعاعا شاحبا مشئوما . . وكان يخيل اليه أن تلك القبعة تؤنبه وتتهمه . . فأخذ يرتعد فرقا . ثم نزل مسرعا من فوق البرابى ، وجعل يعدو الى منزله مستترا بظلام الليل .

« ديجو ! ديجو ! ماخطبك ؟ »

« لا شيء يا أم ! وما عساه أن يكون خطبي ؟ »

« لست أدري أيها العزيز . . . غير أني . . . حسبتك . . . لقد جئت متأخرا الليلة فهل أهيء لك حجرتك الآن ؟ »

فالتفت الفتى الى أمه مغضبا ، وقال : « ياعجبا لك ! انك ! تسألينني هذا السؤال كل ليلة من ليالي عمري ! »

وكان هذا الرد كأنه سوط يستحثها ، فاندفعت العجوز الصغيرة الجسم نحو الحجرة وهي تجر احدى رجليها .

اتبعها الفتى نظرات قد امتزج فيها الغيظ والكدور آها وهي تختفي آخر الدهليز ، فتنفس الصعداء اشفاقا عليها ، ثم لم يلبث أن عاوده الضجر والكمد . وقد بقي ينتظرها — دون أن يعرف للانتظار سببا ، ولاماذا عساه ان ينتظره — في هذه الحجرة المظلمة ، ذات السقف القذر والجدران الممزقة الورق ، التي اتخذتها الام لصناعة الثياب حجرة صغيرة كئيبة قد غصت برخيص الاثاث ، وبعدد الحياكة المختلفة : آلة للخياطة ، مقص مستطيل . تماثيل سخيفة ذات صدور ضخمة . شريط مقاس . قطعة من الطباشير . اكداس من صور الأزياء ذات الابتسامة الكالحة . . . وكلها اشياء قد الف ديجو رؤيتها فلم تعد تستلفت نظره

لقد عاد الى منزله ، يحمل في رأسه صورة كأنها منظر شاهده في مسرح ، صورة تلك السماء العجيبة ، تغشاها السحائب الصغيرة الخفيفة . ومنظر النهر القاتم ، قد انعكست في صفحته أضواء المصابيح والمنازل العالية على الضفة المقابلة ؛ وذلك الشبح البعيد لمدينة روما ؛ وذلك الجسر الممدود . . ثم تلك القنعة ! كانت أمامه صور كل تلك الأشياء الجامدة ، حاضرة لكنها غائبة . وكذلك هو . لقد كان حاضرا غائبا : . جلس في مكانه المظلم يرقب الرجل وهو يغرق . . فكأنه لم يكن هناك ، وكأنه كان غائباً . فلم يحرك ساكنا ، ولم يفتح فمه ، ولم يستنجد . والآن قد رجع إلى داره وقد ملكته الحيرة ، واستولى عليه الذهول . كأنما كل ما سمعه ورآه لم يكن سوى حلم نائم . .

لم يلبث أن رأى قطة كبيرة ، ذات فروة رمادية ناعمة . وثبت فوق المائدة ، وجعلت تنظر اليه بعينين خضراوين خاليتين من كل معنى . هذه قطة الدار ، اتخذوها لصيد الجرذان . غير أنها منذ أيام انتزعت من الجدار قفصا به عصفور جميل . . ثم لم تزل تحتال دائبة ، تدفعها القسوة والنهم ، حتى استطاعت أن تخرج العصفور من بين القضبان . ثم التهمته . وقد حزنت أمه لهذا حزناً شديدا . . بل أنه هو أيضا قد آلمه أن يفترس ذلك العصفور المسكين على هذه الصورة

أما القطة ، فهل تاثرت او أحست ندما على ما ارتكبت ؟ كلا ! بل ها هي ذي جالسة في سكون وطمأنينة ، كأن لم تقترف ذنبا . ولئن رفعها بعنف عن المائدة فانها لن تعرف لهذا الاضطهاد سببا .

عجبا ألا يستطيع هو أن يكون مثلها ؟ ألا يمكنه أن يقترف الاثم كما فعلت هذه الهرة ، ثم ينسى كل شيء بعد ارتكاب الجريمة بلحظة ؟ أن الآفة الكبرى التي تسحقه وتعنيه هي أنه يتذكر . . يتذكر أبداً ويعلم أن الناس سيذكرون أبدا .

لكنه يخيل اليه أنه في هذه الليلة يرى الأمور في ضوء جديد . . مثلا : نظرته إلى أمه . . . أنه لم ينظر اليها الليلة كأنها أم . . . بل امرأة عجوز كأمثالها من النساء . . . ذات جسم ضخم وأنف غليظ قد اعوج قليلا أحد جانبيه . ولها شـامة كبيرة في قاعدة منخرها الأيسر ؛ وخداها الشاحبان تغشاهما خطوط زرقاء من الاوردة الدقيقة . وقد تدلى كل خد في ترهل وضعف . .

وقد جعلت تنظر إليه بعينين متعبتين خائرتين . وحين حدق في وجهها أطرقت بعينها ، وقد ملأها الخجل والعار . . ولكن مم تخجل الأم ؟ لقد كان يعرف جد المعرفة سر هذا الخجل ، وهذا الشعور بالعار .

وأخيرا ضحك ضحكة الساخر . وقال « عمي مساء اماه ! » وانطلق إلى حجرته ، وأغلق بابها .

* * *

جلست الأم إلى مائدة الحياكة ، لكي تتم خياطة ثوب ، ستحضر صاحبته في طلبه في الصباح . لكنها لم تجلس لتتم عملها فحسب ، بل لكي تفكر قليلا . . ماذا عساه قد جرى لفتاها الليلة ؟ طالت غيبته ولم يرجع إلا متأخرا . وكانت تغشاه رعدة . ووجهه شاحب كأنه خرقة بيضاء . . وليس الشراب سبب هذا الاضطراب . انها لم تنشق من فمه رائحة الخمر وليس ديجو من الشاربين

ومع ذلك ، فليس من شك في أنه قد ألم به اليوم حادث . أتراه قد التقى من جديد بأولئك الرفقاء الأشرار . الذين كانت صحبتهم وبالا عليه ودمارا .

ذلك ما كانت تخشاه : :

نهضت من كرسيها ، ومشت على أطراف قدميها حتى وصلت الى باب حجرته . وأنصتت ، فلم تسمع صوتا لعله إذن قد آوى إلى فراشه وقد غشيه النعاس . .

عادت الى حجرتها . وأخذت تجد في إتمام عملها . كانت من آن لآن تنزع المنظار عن عينيها وتمسحه . لقد كانت من قبل

وليس لها مورد رزق سوى ما كانت تمنحه من معاش كاحدى الأرامل . وكانت تجد فى هذا كفايتها ، أما الآن وقد فقد دييجو منصبه وأضحى بلا عمل . فقد اضطرت الى السعى والاكتساب . وفوق هذا قدخطرت لها فكرة : وهى أنها تستطيع بفضل جدها واقتصادها أن تجمع من المال مايكفى لارسال دييجو الى أمريكا . إذ لابد للفتى من فرصة كى ينشد حظه من جديد . أما هاهنا فى إيطاليا فقد سدت فى وجهه السبل ، وهذه البطالة التى أكره عليها إكراها توشك أن تأكل روحه وتقضى عليها .

أمريكا إذن . إن أمريكا هى وحدها المكان الصالح له : فلابد من إرساله الى أمريكا ولو كان فى هذا موتها وفناؤها . لابد أن يفتح لولدها باب الحظ . . ولدها هى . . ذلك الفتى الكريم . . لله ما أطيبه ! وما أجمله ، بل وما أقدره وما اذكاه ! ألم يكن من قبل قادراً على الكتابة والتحرير . حتى لقد نشرت له الصحف بعض ما كتب ؟ ثم ما جرمه الذى اجترم ، وما ذنبه الذى إقترف ؟ لم يكن الأمر سوى ضرب من عبث الشباب ؛ والذنب فيه راجع لأولئك الرفقاء الأشرار ، والى ذلك الروسى أو البولندى ، أيا كان وأيا كانت جنسيته . . ذلك الأجنبى القذر ، ذلك السكير المهين ، الذى جاء الى روما لكى يسوق أبناء الأسر الشريفة المبجلة الى الدمار والعار . فوا أسفاه على أولئك الفتيان البله . كيف ضاع رشادهم ، وضلوا عن طريق الصواب ، إذ دعاهم ذلك الأجنبى الكثير المال الى منزله . فطاشت أحلامهم مابين كؤوس الخمر والنساء وضروب اللهو . ويصل ذلك الروسى المقامر على أن يأتى بالورق ويلح عليهم أن يلاعبوه ، أجل كان يلح عليهم الحاحا . ولئن كان قد خسر نقوده ، فذلك جزاؤه على اصراره وعناده . لكنه بعد هذا يذهب - وياللعار - فيتهم أصدقاءه بالغش والتزوير . ثم يسعى فى مقاضاتهم لكى يجلب اليهم الدمار مدى الدهر . . .

سمعت الأم صوتا كأنه صوت بكاء مكتوم ينبعث من حجرة ابنها ، فنادته : « دييجو ! » فلم يرد جوابا .

أنصتت مرة أخرى ، وألصقت أذنها بالباب . إنه مستيقظ . فما عساه يصنع الآن .

إنحنت ونظرت من ثقب المفتاح . . رحماك اللهم ! إنه يقرأ . . عاد الى مطالعة تلك الصحف الكريهة التى أشتملت على تفاصيل المحاكمة . فلماذا . . لماذا يريد أن يعود الى قراءتها . . وفى هذه الساعة من الليل ؟

ونادته بصوت عال : « دييجو ! » ثم فتحت الباب . فالتفت اليها . وهو يثب فزعا . وقال : « ما الخطب ياأم ؛ مابالك لم تأوى إلى فراشك ؟ »

قالت : « وأنت ، مابالك لم ترقد فى فراشك بعد ؟ »

فتكلف الابتسام وجعل يمد ذراعيه . « أنا ؟ إنى أتسلى قليلا »

فقالت العجوز وهى تعصر يديها عصرا : « دييجو ! دييجو ! احرق هذه الأوراق ! أستحلفك أن تحرقها . . لماذا تريد أن تؤذى نفسك ؟ ماذا يجديك مذاكرته ؟ انس ذلك الحادث تماما ! »

فنظر اليها وهو يضحك .

« شىء بديع ! . . كأنى اذا نسيت ذلك الحادث فقد ينساه الناس جميعا ! ماأبدع هذا ! وما أسهلها وسيلة ! ننسى الحادث كأنا فى لمحة الطرف ! ثم نتساءل هل حدث شىء ؟ لا . . . لا . . . لاشىء . . . لاشىء مطلقا . . . السجن ! كلا لم يكن هنالك سجن . بل كل مافى الأمر أنى سافرت . . . فى اجازة خارج القطر . . . اجازة بديعة دامت ثلاث سنين » ثم قال مغيرا لهجته : « ياأماه ! هذا عبث لاطائل تحته . فلنتكلم فى موضوع آخر . ألا ترين أنى قد قضى على القضاء المبرم ؟ ألا ترين كيف تنظرين - حتى أنت - إلى ؟ »

« لاياديبجو . . . لا . . انك على خطأ وكل ماهنالك أيها العزيز أنى كنت أنظر . . . أجل كنت أنظر . . إلى ثيابك . . فقد باتت رثة . ولابد لك الآن من بذلة جديدة . »

فنظر إلى ثيابه نظرة فحص وتحقيق . ثم ضحك وقال : « اذن أنت تظنين أن هذا هو السر فى تحديق الناس بى كلما رأونى ! لست أنكر أن ثيابى قد امتدت اليها يد البلى قليلا ؛ ولكن هذا القدر القليل ليس بشىء ذى خطر وأنا شديد الحرص عليها . ألبسها فى عناية ، وأمسحها وأكويها . والحقيقة أن مظهرى حين ألبسها لابأس به مطلقا . فهو مظهر الرجل الفاضل ، الذى يستطيع أن يتخذ مكانه فى العالم على غير استحياء ولاخجل . . . فدعى هذا الكلام ! فليس وراءه من طائل ! . . أماه ! ألا ترين أنه قد قضى على القضاء الأخير » ثم أشار الى الأوراق التى بين يديه : « ان البلاء كل البلاء ، هنا ، فى هذه الأوراق وحقيقة الأمر أننا أطلعنا الجماهير على لعبة ورواية مدهشة . فهل تحسبين أنهم ينسونها بكل هذه السرعة ؟ لاأظنهم جاحدين بهذا القدر . . . ويالها من رواية تلك التى أريناهم . . رواية تتمثل فيها الأرواح عارية دنيئة ملوثة ، وهى تحاول أن تختفى عن الانظار ؛ يوم كان كل منا يجذب رداء المحامى الذى يدافع عنه لكى يستر به عاره . أجل كانت رواية مدهشة رائعة . أتذكرين كيف أرعد الناس ضاحكين فى ساحة القضاء حينما سمعوا مافعلناه بذلك الروسى يوم أن ألبسناه الزى

الرومانى القديم والبناء الطوبجا وأنعلناه الخفين، على ماله من أنف أفطس ووجه منقط، ورأس مستدير، ومنظار ذهبى، ثم جعلنا ندفع ذلك الخنزير السمين دفعا، ونضرب رأسه بخفيه، وكلما أوسعناه ضربا ازداد طربا. لانه قد أخذ منه السكر »

« ديبجو! أستحلفك! »

« أجل كان سكرانا، ونحن الذين أسكرناه. »

« لا. لا. لم تكن أنت الذى فعل هذا، بل الآخرون -. »

« وأنا أيضا... أتعلمين يا أماه أن هذا كله كان من سبيل المزاح. لقد كنا نعبث به ونمزح. ثم تناولنا الورق للعب، وكان من السهل أن نربح. والرجل قد ذهبت بعقلة الخمر. »

« ديبجو! أستحلفك! »

« قلت لك إننا كنا نمزح، هذا وحقك ياأماه، هو الصدق الذى لامرية فيه، ولكنى حين ذكرت هذا فى دار القضاء ضج الناس بالضحك، أجل حتى القاضى.. بل لقد كان هو أشدهم ضحكا.. ضحك الجميع من قولى هذا.. الجميع.. حتى رجال الشرطة. ومع ذلك فقد كان هذا هو الحق. فلقد كنا نرتكب الغش، ونحن لا ندرى. أو اذا كنا ندرى فما كنا نرى أنفسنا إلا مازحين وهل كانت سوى أموال رجل قذر معتوه، وكانت تنصب من جيبه انصبابا، كما انصبت من جيوبنا فيما بعد. حيث كنا نبذرها تبذيرا فى بلاهة وجنون، حتى لم يبق لدينا منها درهم واحد. »

ثم التفت الى خزانة الكتب وأخرج منها كتابا.

« هذا كل ما بقى لى من تلك الأموال. فقد مررت يوما ببائع كتب واشتريت منه هذا الكتاب. » ثم ألقى بالكتاب على المائدة فاذا هو ترجمة فرنسية لكتاب جون رسكن المعروف (تاج من أغصان الزيتون).

وجعل يحدق فى السفر مقطبا حاجبيه. عجبا كيف خطر له فى تلك الأيام أن يشترى هذا الكتاب؟ لقد اعتزم ألا يعود الى المطالعة، وألا يخط حرفا أبدا. وما دعاه الى الذهاب لذلك الروسى سوى عزمه على أن يخمد جذوته، وأن يقتل فى نفسه حلما كان يماؤها: حلما بأنه سيغدو يوما كاتبا ومؤلفا. ذلك كان حلم شبابه. ولكن الفقر الأليم الذى نزل بأسرته جعل تحقيق هذا الحلم أمرا محالا. ولهذا صح عزمه على أن يقتله قتلا.

وقفت العجوز تتأمل هى أيضا ذلك الكتاب الغريب، وبعد لحظة قالت فى شىء من التردد: « أترى ياديبجو... لو أنك عاودت الكتابة »

فنظر اليها نظرة كريهة كئيبة، انقلبت لها سحنته وشاهت صورته.

لكنها عادت الى الكلام وقالت: « ماذا يضرك أن تحاول؟ ماذا يدعوك الى اليأس، وأنت بعد فى لم تتجاوز السادسة والعشرين ومن يدرى لعل لك فى الحياة حظا جديدا تنسى به ما قدمضى -! »

فقاطعها، وهو يخاطبها فى سخرية وتهكم: « نعم! حظ جديد ما أكثر الحظوظ الجديدة! أجل ولعمرك لقد أصبت الليلة حظا جديدا. فلقد شاهدت بعينى رأسى رجلا يلقى بنفسه فى النهر. وجلست فى مكانى أراقبه دون أن أحرك ساكنا. »

« ماذا تقول ياديبجو؟ أأنت شهدت حادث انتحار الليلة؟ »

« أجل أنا شاهدت رجلا ألقى بقبعته على البرابى. ثم صعد وألقى بنفسه فى النهر فى هدوء وسكون وجلست أنا فى موضعى، منصتا لصوت سقوطه فى الماء، وكنت على بضع خطوات منه، جالسا فى ظل شجرة، وكان كل ما فعلته أن جلست فى مكانى وتركته يغرق. أجل ذلك كل مافعلت! ثم استولى على الذعر فجأه، حين أبصرت قبعته التى تركها خلفه. فلذت بالفرار »

« أنت تعلم يا عزيزى أنك لا تعرف السباحة. فانى لك أن تقوم بمساعدته وانقاذه؟ »

كان فى وسعى أن أصيح وأستنجد. أو على الأقل أحاول انقاذه. فقد كان الى جانبى درجات من الحجر نازلة الى النهر. لم يكن بينى وبينها غير مترين. أتعلمين أنى رأيت هذه الدرجات. أجل رأيتها فى وضوح وجلاء. ولكنى تجاهلت رؤيتها. ثم لم تك الا لحظة حتى قضى الأمر وغاب عن الأبصار »

« ألم يكن بالمكان أحد سواك؟ »

« كلا لم يكن بالمكان غيرى »

« لا بأس عليك يا ديبجو! وماذا عساك أن تصنع وحدك. فلا تبتئس! انك متعب منهوك القوى. ولقد هذا كل ما هنا لك! ولقد أخذت ترتعد لسهول ما رأيته الليلة. والآن فلتذهب الى فراشك ونم لكى تنسى كل شىء »

وتناولت يده فى شىء من التردد وجعلت تمسحها بكفها. وأجابها على كلامها بهزة رأسه. وقال لها وهو يبتسم « عمى مساء ياأماه! »

« نم هانئا يابنى! »

لقد أثر فى نفسها أنه سمح لها بأن تمسك يده وتمر عليها بكفها مرارا. وجعلت تمسح عينها من خلف مناظرها. ثم أطفأت المصابيح وذهبت الى فراشها وهى تفكر فى تلك اللحظة التى سمح لها فيها أن تلاطفه تلك الملاطفة.

***

« بقية المنشور على صفحة ٦ »

بقية من لغو الصيف

قال بل أفسدتينى أنت حين أكرهتينى على الذهاب الى باريس ، قالت فانى لا أدع لك حرية الاختيار ، وإنما أفرض عليك الربوة الجميلة الهادئة وحديثها البرىء من العبث والتجنى فرضا ، قال لقد اطعتك حين نفيتنى الى باريس فأحرى ان اطيعك حين تذهبين بى الى هذه الجنة الخضراء ، وأكبر الظن ان طبيعة هذه الربوة الجميلة الهادئة ستكون اقوى منك ومنى وستوجه عقلينا وقلبينا الى حيث تريدين لا الى حيث تريدين ، ولا الى حيث أريد . قالت مادمت واثقا بالطبيعة الى هذا الحد ؛ مؤمنا لها الى هذا الحد ، فلنذهب الى ربوتك ولنحكم جمالها وهدوءها فيما ستفيض به قلوبنا من شعور ، وفيما ستضطرب به عقولنا من تفكير ، وفيما ستجرى به السنتنا من حديث .

وانتصف النهار وإذا هما فى هذا المكان الجميل الذى خلت فيه الطبيعة الى نفسها فاتخذت زينتها حرة طلقة لا متكلفة ولا خاضعة لعبث الناس . وإذا هما ينظران ويسمعان ويتنسمان هذا النسيم الهادى ء القوى وقد أزيلت الحجب بين نفسيهما وبين ما فى هذه الربوة من جمال هادى ء قوى خصب مختلف الألوان . ولو قد خلى بينهما وبين ما كان يغرقان فيه من هذا الصمت الحلو الذى كان يمزجهما بهذه الطبيعة الحلوة لظلا صامتين هادئين حتى تزعجهما ظلمة الليل ، فتخرجهما عما كانا فيه من صمت وهدوء . ولكن هذه الطبيعة نفسها أبت عليهما ما كانا فيه كأنها أحبت ان تسمعهما وكأنها أحبت ان تمتزج اصواتهما بأصواتها ، فما هى الا ان يحسا نبأة تخرجهما من نعيم الصمت والذهول الى شقاء الحديث والتفكير . احسا نبأة قريبا لها ، وهما ان يتعرفا مصدرها فلم يصلا بما اراد الى شىء ولكنهما تساءلا : وسمع كل منهما صوت صاحبه فاغرى به واشتدت رغبته فيه : وعادا الى ما كانا فيه من حوار ؛ قبل ان يبلغا هذا المكان الجميل .

قال ، واذا فانت تجدين من المشقة فى قراءة القصص التمثيلى ما يرغبك عن هذه القراءة : وينفرك منها : ويحبب اليك قراءة هذا القصص اليسير الذى لا اخذ فيه ولا رد . ولا جدال فيه ولا حوار . قالت نعم وان كرهت ذلك ورأيته آية من آيات الضعف ومظهرا من مظاهر القصور . قال وكيف يكون ضعفا ما تحبين ، وكيف يكون قصورا ما تكلفين به من الامر ؟ قالت تنبه فانى أراك مقدما على اخلاف الوعد الذى سبق . قال فانى لم اعد بشىء على انى لا أدرى أين يكون هذا الاخلاف لست عابثا ، ولا متجنيا ، إنما أقول ما اعتقد ، وأصور ما أرى . وإنى لأشعر بالنفور من قراءة التمثيل ، وبالرغبة فى الاكتفاء بهذا القصص اليسير . قالت فانك تكبر التمثيل اكبارا أراك تسرف فيه ، فلست أجحد قدره ولا مكانه بين مظاهر التعبير الأدبى ، ولكن التمثيل خلق للملاعب لا للكاتب ، وخلق لينفذ الى النفس من طريق الاذن والعين ، لا من طريق العين وحدها . وخلق لينفذ الى النفس ممتزجا بأصوات المتحاورين وحركات اللاعبين ، لا لينفذ اليها كلاما غير منطوق ، وعملا لا يأتى به أحد من الناس . قال حجة قوية هذه لا اريد ولا أستطيع أن انقضها وليس من شك فى أنى اوثر ان ارى التمثيل فى الملاعب على ان اخلو اليه فى مكتبى ، واوثر ان ارى اشخاص القصة يذهبون ويجيئون ، واسمعهم يجادلون ويحاورون ، ولكن ماذا أصنع اذا حيل بينى وبين الاختلاف الى الملاعب ، لأن ظروف الحياة لا تريد ذلك او لأنى اعيش فى بلد لا يزهر فيه التمثيل ، ولا يكاد يزوره الا لماما أو لأن آيات من القصص التمثيلى قد قطعت الطريق بينها وبين الملاعب . أأجهل هذا الفن من فنون الأدب جهلا ، وأهمله اهمالا ، وأنسى انه موجود وان فيه للنفوس الراقية متاعا ، وللعقول الراقية غذاء ، وللقلوب الراقية

لم تمض ساعة حتى كان ديجوا برنر فى مجلسه الأول على البرابى ، فى ظل تلك الشجرة . وقد جلس كما كان يجلس من قبل ناظرا الى النهر ، ومدليا رجليه .

وكانت السحائب لم تزل تغشى السماء فى لونها الرمادى الشاحب وكأن لم يتغير شىء مطلقا . . بل لقد تغير شىء واحد : فان القبعة قد اختفت . وأكبر الظن أن أحد رجال الشرطة قد رآها فى تجواله فأخذها .

نزل ديجو فجأة عن البرابى ومشى نحو الجسر ، ثم انتزع قبعته عن رأسه . ووضعها فى نفس المكان حيث كانت قبعة ذلك الرجل الغريب .

ثم تبسم وقال : « وها كم قبعة أخرى ! » وكأنه ما فعل هذا لا ليمزح ؛ كأنما أراد أن يمازح رجال الشرطة

وعاد الى مكانه فى ظل الشجرة . وجلس برهة يتأمل القبعة ، معجبا بمنظرها وكأنه هو لم يكن له وجود . . ثم اندفع فجأة يضحك ضحكا عاليا وحشيا . لقد بدت له القبعة كأنها فأر ، وكأنما هو قطة ترقبها . .

وجعل يتدلى من البرابى شيئا ، فشيئا ، ملقيا بنفسه الى النهر على مهل . وقد أمسك الحاجز الحجرى بقبضتيه . فأحس بقلبه يثب وشعر رأسه يقف ، ثم أحس بقبضتيه . . وقد أخذتا فى الارتخاء . وانفرجت أصابعه ؛ فهوى الى النهر . . الى الفناء . . . ؟

محمد عوض محمد

لذة . قالت وقد أخذها شيء من الدهش كأنما رفع عنها حجاب فرأت نورا باهرا لم تكن تنتظر أن تراه . ماذا تقول ! وإلى أين ذهب بي الجدال ! وإلى اى حد انتهى بي حب الخصومة . قال الى حيث تأتين ما لم يستطع الدهر ان ياتي . وتصدرين احكاماً عجز النسيان وعجزت الأيام وعجزت المحن والخطوب ، وعجز الجهل والجحود عن أن تصدرها ، الى حيث تمحين من سجل التاريخ الادبي اعلام الادب القديم والحديث . الى حيث تعتبرين ايشيل ، وسوفوكل ، وأوروبيد ، وارستوفان ، وشكسبير . قالت في شيء من الجزع لاتقل هذا ، وكيف السبيل الى قبر هؤلاء الاعلام ومحو هذه الاسماء ، واهمال هذه الآيات ، وان اصحابها لأبقى من الدهر كله واقوى من الناس كلهم ، واحق بالعناية ممن شئت ومن لم تشأ من ابطال الادب والعلم والفلسفة جميعا . ثم انحدرت من عينيها دمعتان وقالت بصوت رقيق تقطعه العبرة ، كيف يمكن ان ينسى قول سوفوكل على لسان انتيجون في حوار الملك : ولدت للحب لا للبغض .

قال مهلا ، فانا لم نأت الى هذه الربوة الجميلة الهادئة ، ولم ننزل ضيفا على هذه الطبيعة النضرة الباسمة لنسفح الدموع ، ونثير في نفوسنا عواطف الحزن ، وقد وعدتك او قد وعدت نفسك بالا نعبث هنا ولا نلهو ، ولكني لم اعدك ، ولم تعدى نفسك بأن نبكي ونرسل الزفرات ونسفح العبرات . قالت والهدوء يثوب اليها واشراق الابتسامة الهادىء الخفيف يذود عن وجهها ما غشيها من ظلمة الحزن ، والبكاء . لولا شغفك بالجدال وكلفك بالحوار واحتيالك في خلق الخصومات التي لا تنتهي ، لما اضطررت الى ان اتورط في هذا الكلام الذي لا يمكن ان يوصف الا بأنه فن من فنون السخف او لون من الوان الجحود قال لست جاحدة ، ومعاذ الله ان تكوني جاحدة ، ولكني قلت لك اني اصبحت أرى ان السخف اقوم ما في الحياة . قالت فكن سخيفا ما شئت . فاني لا احب السخف ، لا احب ان اسمعه ولا احب ان اخوض فيه ، ولولا اننا هنا بعيدان عما احب من الكتب لفرضت عليك عقوبة . . . قال وهي ان اقرأ لك فصلا من فصول التمثيل ، لأقيم لك الدليل على ان التمثيل يمكن ان يقرأ فيثير اللذة والاعجاب بعيدا عن الملعب ، قالت ولمن تريد ان تقيم الدليل وقد عرفت اني اشاركك في الراى ، واني لم اقل ما قلت ولم أذهب الى ما ذهبت اليه ، الا حين اضطررتني انت الى هذا الحوار الذي لا ينقطع ، والذي لا خير فيه . قال ما كرا ، ومن يدري لعلك إن حاورتك في الشعر ان تقولي انه لا يقرأ ، وانما يسمع من المنشدين . ولعلي إن حاورتك في الموسيقى ان تقولي انها لا تقرأ ، وانما تسمع من الموقعين . قالت ومن يدري لعلك ان حاورتني في اى شيء ان تسيء رأيي في كل شيء ، وان تردني الى حيث كان اسلافنا في العصور الاولى ، لا يعرفون الترف العقلي ولا يبتغون لذة العقل والشعور الا من اقرب الطرق وايسر الوسائل . فقد كانوا يسمعون الشعر ويسمعون الموسيقى ويسمعون التمثيل ، لأنهم لم يكونوا يقرأون فأما الآن فقد نستطيع نحن ان نسمع فان فاتنا الاستماع فقد نستطيع ان نقرأ . واني لأفكر في هذا فاعجز عن احصاء نعمة الله على الناس حين الهمهم الكتابة وعلمهم القراءة .

فهذه النعمة هي التي حفظت لنا ما بقي في ايدينا من آيات البيان في العصور القديمة وأتاحت لنا ان نعجب بما كان يعجب به الناس من سحر الشعر والنثر . منذ القرون الطوال . وهذه النعمة هي التي تتيح لنا دائما ان نستبقي آيات التمثيل التي لم يبق بينها وبين الملاعب من سبيل . لأن الاذواق قد اصابها من التغير والتبدل ما جعل تمثيل هذه الآيات أمرا لا مطمع فيه . فلولا انها قد حفظت لنا بالكتابة ولولا انا نستطيع ان نحييها في نفوسنا بالقراءة . لماتت موتا لا نشور بعده وكيف ترى تمثيل ارستوفان ، وأي قصة يمكن ان يظهر في الملاعب الآن واين الآذان التي تستطيع ان تسمع لحواره وما فيه من تجاوز لذوق الاجتماعي ومخالفة الادب المألوف . ومع ذلك فكيف يستطيع مثقف ان يجهل تمثيل ارستوفان ، إني لأكره كل ما يشذ عن الأدب الذي تواضع الناس عليه واني لأرفض كل الرفض ان اقرأ على احد ، أو اسمع من احد كثيرا من قصص ارستوفان . بل اني لأكره ان اقرأ هذا القصص كما كان القدماء يقرأون بصوت عال تسمعه الاذن ، ولكنني على ذلك اعترف بأني اطيل النظر في هذا القصص واقرأه المرة بعد المرة واقرأه كلما ضقت بالحياة أو ضاقت بي الحياة اقرأه بالعين لا بالشفتين واللسان . قال ومالك تقفين عند ارستوفان وإن في آيات سوفوكل وصاحبيه لما يعجز الملعب عن اخراجه للناس الآن ، لأن فن التمثيل نفسه قد تغير وتبدل ولكن أي حرمان يصيب المثقفين لو قضى عليهم ان لا يقرأوا غناء الجوقة في شعر هؤلاء الاعلام . وشكسبير ايجب ان يحرم المصريون مثلا لذة الاستمتاع آياته لأنها لا تمثل في بلادهم ، بل ايحرم الانجليز انفسهم لذة الاستمتاع آياته لأنها لا تمثل عندهم الا بمقدار . قالت بل نستطيع ان نذهب الى ابعد من هذا فقد نستطيع ان نؤمن بأن القصص التمثيلي فن من فنون التعبير الادبي يمكن ان يقصد اليه من حيث هو ، وان يكتب الكاتب قصة تمثيلية لتقرأ لا لتمثل ، قال فانك لا تذهبين الى شيء مستحدث وهل كانت كتب افلاطون كلها

« البقية على صفحة ٤٢ »



جان دارك

فى سبيل الوطن

تأليف الأستاذ غانم محمد

هذا كتاب الفه الاستاذ غانم محمد فاخرج به للناس درة من أثمن ما تحوى لجة التاريخ من درر، ونشر صفحة من أسطع ماطوى الدهر من صفحات. وهو بهذا الكتاب قد أذاع فى الناس مثلا أعلى للتضحية والفداء، ونموذجا ساميا للوطنية المشتعلة الصادقة ممثلة فى جان دارك، التى ارتفعت الى مستوى القديسين وأولياء الله الصالحين. وما قولك فى فتاة ريفية ساذجة لم تتجاوز من عمرها ثمانى عشرة سنة قضتها فى العمل المنزلى ورعى الغنم، تتصدى لانقاذ الوطن من الاستعمار الانجليزى الذى أنشب أظافره فى الأعناق ولم تكن لتزحزحه جحافل الجيوش

وكأنما أرادت عناية الله أن تبعث بها لتخليص وطنها، فبينما هى جالسة فى يوم من أيام الصيف فى ظل دوحة ترعى غنمها. إذا بأوراق الشجر تهتز والأطيار تطلق أغاريدها عالية فى الفضاء، فانتبهت جان من اطراقها ورفعت رأسها نحو الشجرة وأغصانها التى اهتزت فجأة. فشعرت برعدة تمشى فى جسمها طولا وعرضا، ورأت السماء تنشق عن نور ساطع ينبعث من بينه هاتف يناديها ويردد اسمها ويقول لها فى وضوح: «جان! جان! لاتخافى، كونى ابنة طيبة، فسوف تذهبين لنجدة ملك فرنسا» فتقدمت جان فى ذهول نحو الصوت، فرأت أن التى تخاطبها هى القديسة كاترين ترافقها قديسة أخرى، وقد وقفتا فى وسط هالة من النور بين غصون الشجرة،، فتفرست فيها جان، وأيقنت أن التى تخاطبها هى القديسة كاترين وأن التى بجوارها هى القديسة مرغريت، فانتفضت جان وتولدفيها شعور غامض من طرب وذعر، واعتزمت من فورها انجاز ماتطلبه السماء، فالتمست حاكم المنطقة تطلب اليه أن يرسلها الى مليكها لكى تعينه باذن الله فسخر منها هذا الحاكم ما وسعته السخرية، ولكنها أخذت تطلب وتلح فى الطلب لأن أصواتها السماوية أمرتها بذلك وليس لها عن طاعتها محيد؛ وما هى الا أن ارسلها الحاكم فى حرس عسكرى الى حيث ولى العهد ـ وقد مكر به الانجليز وأقصوه عن العرش بحجة عدم شرعيته لضم فرنسا الى انجلترا ـ فلم تكد تظفر جان بالمثول بين يدى الدوفين (ولى العهد) حتى أعلنت رسالتها التى تلقتها من القديسين الأطهار، والتى لم تزل الأصوات المقدسة تأمرها بها كل يوم وتلح عليها فى النهوض باعبائها، وهى أن ترفع حصار الانجليز وتتوج ولى العهد ملكا على فرنسا. فتشكك الملك فى أمرها بادىء الأمر، وأرسلها الى جماعة من العلماء، أخذت تناقشها وتحاورها ثلاثة أسابيع كاملة. ثم أصدرت الحكم الآتى «لقد تحققنا وبهذا نعلن، ان جان دارك المعروفة باسم العذراء مؤمنة صادقة الايمان وكاثوليكية سليمة العقيدة، ولا شىء فى شخصها أولفظها يخالف الدين، وواجب الملك أن يتقبل ماتعرضه عليه من المساعده، لأنه اذا رفض معونتها حرم نفسه معونة الله». فلم يسع الملك بعدئذ الا أن يعين جان دارك قائداً عاماً للجيش الفرنسى!!

جمعت جان فلول الجيش المهزيم، ونفخت فيه روحا جديدا يشتعل جرأة وحماسة، وأخذت ـ وهى الفتاة الصغيرة الساذجة ـ تقود الجند من نصر الى نصر، حتى أجلت الانجليز، وردتهم أذلاء بعد عزة، ومهدت الطريق لتتوج ولى العهد شارل السابع ملكا على فرنسا. وقد بذلت فى هذه السبيل مجهودا جبابرة، وتعرضت لأخطر المواقف، حتى أنها فى أثناء الهجوم على حصن «لى توريل» جرحت جرحا بليغا بين كتفها ورقبتها، وسال منها دم غزير، فوقعت على الأرض تبكى بكاء مراً، وانتهز الانجليز فرصة اصابتها وتجمعوا حولها قاصدين تمزيقها اربا اربا. ولكن الفرنسيين قاوموهم وصمدوا لهم، ويقول مارك توين: «دار القتال حولها على أيهم يستولى عليها ـ وفى الواقع على فرنسا ـ لأن جان فى أثناء تلك الدقائق القليلة، كانت هى فرنسا للطرفين، فمن استولى عليها فقد استولى على فرنسا الى الأبد، وكانت تلك الدقائق العشر هى أهم الدقائق التى دوتها الساعة فى تاريخ فرنسا كله فى الماضى وفى المستقبل...»

أنجزت جان دارك رسالتها التى أمرتها بها أصواتها المقدسة، وهى تتويج الملك، وكان لها أن تعود الى قريتها. ولكن نفسها

الكبيرة لم تهدأ ، وأصرت على أن تجاهد حتى تطهر أرض الوطن من كل انجليزى ! وبينما هى فى جهادها على رأس شرذمة من أنصارها ، تمكن منها أحد الأعداء . وكان فرنسيا مواليا للانجليز ، فجذبها من فوق جوادها وألقى بها على الأرض ، وبذلك وقع ذلك الملاك الطاهر فى الأسر ، فسيقت جان الى السجن ، وما هى الا أن اشتراها الانجليز من أسرها بالمال ، اشتروها بعشرة آلاف من الجنيهات ، لينتقموا منها شر انتقام . وبعد أن قضت فى سجنها مدة تجلجل فى أصفاده ، حيث شدت بسلسلة غليظة من الحديد الى كتلة خشبية ، يحرسها خمسة من الجند الاشداء ، لاينون عن توجيه الالفاظ القاسية والعبارات المخجلة ، وهى أمامهم مطروحة ترسف فى أغلالها ، قدمت بعد ذلك الى المحاكمة بتهمة السحر والشعوذة والكفر . واستوت المحكمة على مقاعدها ـ وكانت مؤلفة من ستين عضوا ونيفا ، كلهم من فطاحل العلماء ـ فأخذ هؤلاء الدهاة يقدحون أذهانهم فى نصب الشباك لتلك الفتاة الطاهرة ، وهى تصمد لهم ، وتفحمهم ، ولكن عبثا حاولت ، فلابد من اتهامها . وبعد مؤامرات وتدبير حكم عليها بالأعدام حرقا لأنها ضالة كافرة !!

صعدت جان منصة الاعدام بخطى ثابتة ، وشد الجلاد وثاقها ثم أشعل النار فى الوقود المعد حولها ، وأخذ الدخان يتصاعد ، ولما لفحتها ألسنة السعير صرخت من أعماقها قائلة : « لست ضالة ولا كافرة ! وان ما تلقيته من الوحى كان من عند الله » ولما بدأت النار ترعى جسدها أخذت تصيح : « عيسى ! عيسى ! مريم ! مريم ! » وصارت تردد هذه الألفاظ حتى تدلى رأسها وفاض روحها .

هذه قصة جان دارك مبتورة مشوهة ، وقد وفق الاستاذ غانم محمد فى إبرازها وتصويرها توفيقا بلغ حد الكمال . فليس هذا الكتاب واحدا من الكتب ، يتلى ثم يطوى وكأنه لم يكن ، كلا ! انما هو فيض من الشعور القوى النبيل سيغمرك ويحتويك حين قراءته ، وسيطبعك بطابع هيهات أن يزول أثره مابقيت على الدهر انسانا .

أشهد أننى قضيت فى هذا الكتاب ساعات كانت من أمتع ما جادت به الايام ، فأقل ما نتوجه به الى الاستاذ المؤلف هو تهنئة تنبعث من الصميم . ز . ن . م

« بقية المنشور على صحيفة ٤٠ »

بقيـــة من لغو الصيف

الافنا من فنون التمثيل كتبت لتقرأ لاليلعبها الممثلون امام النظارة ، قالت بل انا اجد لقراءة التمثيل فضلا على شهوده فى الملعب ، لأن القراءة تمنحنى قوة لااجدها حين اختلف الى الملاعب ، فانا اخلق الممثلين واصورهم لنفسى وهم يذهبون ويجيئون ويحاورون ويجادلون ، وأخلع عليهم من الصور الفنية مايعجبنى ويلائم طبيعتى ، ومزاجى ، وفهمى كما اقرأ . قال ولست اخفى عليك انى اكره ان أرى قصة تمثيلية قبل ان اقرأها ، ولعلى اقرأ القصة التمثيلية فاعجب بها اعجابا ، وافتن بها فتونا . ثم اشهدها فى الملعب فيدركنى شىء كثير من خيبة الأمل لأن الممثلين لم يؤدوها كما كنت اريد ان تؤدى ، أو كما كنت انتظر ان تؤدى . قالت وكذلك آيات الجمال الفنى كلها ترتفع فى النفوس حتى تبلغ المثل الاعلى أو تدنو منه فاذا اشتملتها الحياة الواقعة واخرجها الانسان إلى الوجود الفعلى نزلت عن مرتبتها لأن طبيعة الجمال الفنى فيما يظهر لاتحب الحدود التى يفرضها الزمان والمكان . قال فى رفق مهلا فقد يخيل الى انا نصعد فى السماء ، ولو مضينا فى هذا الحوار لبلغنا هذا السحاب الذى يوشك ان يفسد جمال هذه الطبيعة النضرة الباسمة . قالت ليس الى ارضائك اليوم من سبيل ، لقد كنت ترانى منذ حين مقصرة مسرفة فى التقصير ، وانت ترانى الآن محلقة مسرفة فى التحليق . قال انا معجب بك على كل حال ، ولكن ارفقى بى فقد اعجز عن ان ارتقى معك فى الجو الى حيث تريدين ، عيشى مع اصدقائك من سكان النجوم اذا خلوت الى نفسك فاذا لقيتنى فاذكرى قول بسكال واعلمى انى مهما اقوى فلن استطيع الان اكون انسان يمشى على الارض وينظر الى السماء . قالت ما ابرعك فى افساد الحديث هاانت ذا تعود بنا الى العبث الذى لاينقضى ، الست ترى ان خيرا منه ان ننظر فيما حولنا وان تتحدث نفوسنا الى نفس هذه الربوة التى لقيتنا فاحسنت لقاءنا . وهيأت لنا ضيافة لم نكن نقدر ان نلقاها . قال لاارى بذلك بأسا ولاسيما فى يوم وداع فمن يدرى لعلنا لانلقاها بعد اليوم . قالت ومايمنعنا ان نعود اليها غدا وبعد غد فان الاجازات تمد ، ورسالة برقية تستطيع ان تذهب الى القاهرة مساء اليوم فتكفل لك الاذن بالبقاء هنا الى آخر الصيف قال وقد استأثرت بنفسه غبطة لاحد لها أو تأذنين ؟ طه حسين
